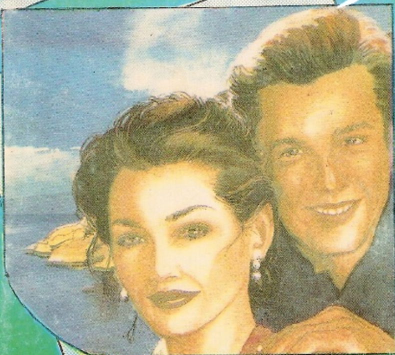
روايات ديانا

ديانا
DIANA

جنّني بانتظارك



دار ...يوسف
بيروت - لبنان

قمر الليل

جنتي بانتظارك
آن ويل

أيمكن أن يلتقي الطود مع الزهرة؟ الجليد مع النار؟ القسوة مع الرقة الذائبة؟ أيمكن أن تشعل جمرات الحنان قلباً اعتاد على الوحدة، على القسوة وعلى التسلط؟ لكن للحياة أسراراً لا يدرك كنهها أحد ولا يعرف أحداً متى تنبلج خيوط الفجر لتضيء سماء السعادة بليل طال انتظار أفوله! هذا ما ستعرفه وتختبره زهرة رقيقة بريئة تدعى ساندرينا على أرض جنة عذراء حين تضيع وحدها بكل رقتها وشبابها وهشاشتها في أعماق غابة المطر التي لن ينقذها منها أحد إلا ساحر بعيون كالزمرد وقلب كالألماس القاطع سيحوّل سلامها وسكينتها الى براكين وزلازل تهدد نجاتها وتقربها من شفير هوة رائعة تريد الوقوع بأعماقها بكل ما في قلبها من نبض وحياة. فهل ستجد من ينتشلها ويحيطها بكل عناية؟.

قمر الليل

الفصل الأول
غابة المطر

طيور بألوان قوسّ قزح كانت تطير من هنا وهناك بكل الأنحاء ومختلف الأرجاء. أشجار ضخمة خضراء داكنة بضخامة الطود وروعة الحلم كانت تفرد أغصانها الهائلة عبر الفضاء كالمرَدة القادرين. نباتات من كل شكل ولون وصنف كانت تزرع الأرض جمالاً وسحراً. إلا أن عين ساندرينا لم تكن تشاهد كل هذه الفتنة، الرعب والقلق الذي كان يتآكلها منعها من الاستمتاع بالجو الخيالي حولها. فهي كانت وحيدة وضائعة وسط غابة استوائية عذراء بعد أن تركها شقيقها مايكل قرب

الجيب الذي تعطل بشكل كامل وذهب بطلب المساعدة. آمرها أن تبقى قرب السيارة لكن مع هبوط الليل لم تستطع إلا أن تسير بنفسها بحثاً عن النجدة لاعتقادها أن مايكل نفسه قد أصبح تائهاً وسط عالم البراري هذا. تذكرت إلحاح مايكل وإقناعه إياها بالقيام برحلة اكتشاف المجهول هذه داخل غابات استراليا كانت حياتها هادئة وعادية تبدأ يومها بالتدريس ثم تعود الى شقتها الصغيرة حيث تتناول الطعام وتنام ثم تنهض وتحضر دروسها لليوم التالي قبل أن تجلس أمام شاشة التلفاز الى أن يحين موعد نومها مجدداً. كانت حياتها تسير على هذا المنوال الروتيني بعد أن تزوج والدها وانفصلت هي عن المنزل مستقرة بشقة صغيرة وجدها لها والدها بعد إلحاحها ودفع لها القسط الاول من ثمنها. والدها كان رجلاً حنوناً وتفهماً وبعد وفاة والدتهما ظل وفياً لذكراها لسنين طويلة لكن قدره جمعه بمارغريتا التي استطاعت أن تقنعه مجدداً بالزواج. ومع انها كانت تحبه جداً الا انها لم ترغب بالاهتمام بأولاده ولهذا فقد ذهب مايكل الى ثانوية داخلية حيث تابع دروسه وبقيت ساندرينا وتبعاً لرغبة والدها معهما الى أن أكملت دراستها وحظيت بوظيفة معلمة بإحدى أهم المدارس في المنطقة. لم تكن مارغريتا بالغة السوء الا انها كانت تريد أن يكون جون بايكل (والدهما) لها وحدها وهذا ما حققته فعلاً بعد سنين من المثابرة والعمل الذكي. والآن أراد مايكل أن يقضي مع شقيقته الصغيرة عطلة ممتعة ومثيرة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ولهذا فقد

أقنعها بالمجيء معه الى استراليا لاكتشاف الغابات الخرافية الموجودة هناك كانت رحلتهم ممتعة فعلاً وغريبة كلياً الى أن تعطل الرانج الذي كان مايكل يقوده وباءت كل محاولاته بتشغيله بالفشل الذريع. فذهب لطلب النجدة طالباً منها البقاء قرب السيارة. فكرت ساندرينا بكل هذا وهي تسير وتسير وتسير داخل الغابة دون أن تعرف أين هي ودون أن تدري ان كانت تسير بالطريق الصحيح. التعب كان قد أخذ منها كل مأخذ وقد مضى عليها أكثر من ثلاثين ساعة وهي تجوب أرجاء المكان دون أن تصل الى نهاية ما. اتكأت أخيراً وبإرهاق شديد على جذع شجرة كاسكادا ضخمة وأدركت أن نهايتها قد أطبقت دون شك. وأخذ وجه والدتها الحبيب يتراءى لها عبر الظلال وصدى ضحكاتها القديمة يتردد بأرجاء عقلها الذي كان يوشك على الابتعاد تدريجياً عن الوعي.

«يا الهي!» هتف الرجل الضخم الذي كان يسير عبر النباتات الضخمة بخطوات خبيرة. كان على وشك السفر الى «سدني» حين وافته الأخبار باختفاء شابين في غابة سكارلا. وُجد الشاب لاحقاً وأحضر الى مستشفى البلدة بحالة يرثى لها وكله قلق وخوف على شقيقته. تحركت الدوريات على الفور بحثاً عن الفتاة. تم العثور على السيارة لكن لم يكن من أثر للفتاة المقصودة. كيف فعل هذان الاثنان شيئاً خطيراً ومتهوراً كهذا؟ حتى أكثر رجال الغابات خبرة قد يتوهوا وسط غابة سكارلا هذه. حدس ما هي له أنه سمع أنيناً خافتاً يأتي من جهة شجرة

الكاسكادا وسار بخطوات تحثها اللهفة والغضب معاً لإيجاد الفتاة الضائعة قبل هبوط الظلام. وحين وصل الى هناك الى تلك البقعة بالذات التي تفصل بين حدود الغابة وحدود ملكيته وجدها متكئة كالملاك على جذع الشجرة ذاتها وعيونها مغمضة بسلام. كان قد مضى عليه أكثر من ١٠ ساعات وهو يفتش بهذه الناحية بعد أن وزع رجاله وفرق الشرطة على كافة النواحي الأخرى. انه يعرف هذه الشجرة جيداً. واسمه محفور على جذعها خلف رأس الفتاة تماماً واندهش لايجاده لها بهذا المكان بالذات.

فور ملامسته لكتفها فتحت ساندرينا عيونها الزرقاء الواسعة ببطء لاعتقادها انها لا تزال تحلم. رجل ما كان ينحني قربها كأنه إله اغريقي بوجه داكن وعيون خضراء زيتية داكنة كالأشجار حولها. فمها كان رطباً وحين فتحته قالت بوهن كلي.

«لم أعتقد أن أحدهم سيجدني».

«لا تتكلمي» قال بشبه غضب. وناولها قربة المياه قائلاً:

«حاولي أن تشربي القليل بعد. فقط القليل وتدريجياً».

توسعت عيونها الزرقاء بحيرة وقالت: «أظنني كنت أحلم بك».

«اشربي الآن» قال بصرامة خفيفة.

فعلت ما أمرها به وشعرت بالانتعاش يتفجر داخل جسدها المرهق تماماً وانسابت قطرات المياه على رقبتها.

«يكفي هذا» قال: «تستطيعين الحصول على كل مبتغاك من

الماء لاحقاً. ما يهم الآن ايصالك بسرعة الى الرانج. الشمس تكاد تغرب».

نظرت حولها برعب متذكرة رعبها من الظلام وتمتمت:

«لا أظنني قادرة على السير، وكأن جسدي ليس مني».

«لا بأس إذن، سأحملك» قال ورفعها بخفة كأنها طفل صغير وتابع: «ابقي رأسك منخفضاً أغصان الأشجار متشعبة ومنخفضة وتمتد من هنا حتى نهاية الغابة».

بالكاد سمعت ما كان يقوله ووجهها ملتصق بصدره الصلب. الظلام كان يهبط بسرعة وتسارعت بالتالي خطواته الخبيرة قبل حلول الظلام كلياً مما سيمنعهما من التحرك.

صوت ما جعل الرجل يتوقف بحذر منزلاً إياها بسرعة الى الأرض مما أثار ذهولها.

«ماذا هناك؟» سألت.

«اصمتي».

وقف أمامها ويده على بندقيته وفجأة ودون سابق انذار اندفع من خلف الدغل المقابل دب هائل الحجم. مرعب الشكل.

«يا الهي!» هتفت ساندرينا بكل رعب العالم وشعرت بأنها توشك على الغياب عن الوعي.

«لا تتحركي أبداً» أمرها وكان هذا آخر ما سمعته لأن دوي الرصاص أصم أذناها بعد ذلك ولم تشاهد إلا الدماء ولم تسمع إلا الصوت المدوّي لذاك الحيوان الضخم. فأخذت تصرخ وتحاول أن تعدو وتبتعد.

«عودي الى رشدك يا فتاة».

قطع صوته غمام عقلها وشعرت به يصفعها بقوة على وجهها ولمرتين متتاليتين قبل أن تعود فعلاً الى صوابها.

«لا تنهاري الآن» صاح بتعمد وعيونه تبرق بصلابة وعنف.

ترنح رأسها ولم تستطع أن تنطق بشيء وانهمرت الدموع بغزارة على وجهها فأخذت تحاول أن تبعد شعرها عن وجهها بيدين مرتجفة.

«أيتها العفريتة الصغيرة المسكينة» قال ببعض الرقة الآن: «صفع الأطفال ليس من اختصاصي حقاً، لكن كان علي فعل ذلك بالتأكيد».

«لا أعرف كيف حدث ذلك، أنا... أنا آسفة».

«لا تكوني كذلك» قال وأفلتها: «معظم النساء كن ليفقدن عقلهن بهكذا وضع» ابتعد قليلاً عنها مبعداً بعض الأغصان: «أخشى أن علينا قضاء الليلة هنا الآن بعد أن أصبح من المستحيل التحرك بهذا الظلام».

ابتلعت ريقها واقتربت قليلاً منه: «لا مانع لدي الآن بما انني لن أكون بمفردي».

«حسناً، اذن» قال: «معي بعض الطعام والشراب وسأشعل ناراً على الفور. سيبعد هذا البعوض والكثير غيره. لم أكن أرغب بتحقيق هكذا أمسية لك. لكنك على الأقل بأمان الآن».

كان يجمع الأعشاب وهو ينطق بكلماته تلك ولم تستطع ساندرينا إلا أن تقف بلا حراك مكانها وتراقبه.

«ما الذي كان سيحل بي لو أنك لم تكن هنا؟» سألت بصوت مبحوح من التأثر.

«كنت هنا. لنترك الأمر عند هذا الحد» قال وهو يشعل الثقاب: «أنت تتعافين بسرعة نظراً للمخاطر. أنا كالفن ريستاو، نحن على أطراف مزرعتي المسماة «كليتا». أُتم احضار شقيقك بخير الى المزرعة مساء البارحة».

«الحمد لله» صاحت ساندرينا بشهقة: «فكرت به مليار مرة، لكني لم أسألك عنه حتى الآن».

«وهل تسنت لك الفرصة لذلك؟» ورفع نظره اليها بنصف انتقاد ساخر متابعاً: «كيف سمح شقيقك لنفسه بالتصرف بجنون هكذا؟! هذا ما لن أعرفه ولا أي منكما لديه أدنى التقنيات الخاصة باكتشاف الأدغال ورغم ذلك بدأتما باكتشاف أكثر الأدغال خطورة».

«طلب مايكل مني البقاء قرب سيارة الجيب» قالت وهي تقترب من النار ووجهها بالغ الرقة وغامر بالحب مما جعله شبه يقتنع انها فعلاً لطيفة وبريئة كما يبدو.

«لربما ستستمعين لذلك في المرة القادمة» قال وبعض الاستهزاء يبرق بأعماق عيونه الزيتية: «تعالي واجلسي قرب الدفء» تابع برقة: «سيمر الليل بسرعة وسأخرجك من هنا مع أول بارقة ضوء في الصباح».

«أريد أن أخبرك كم أنا ممتنة لك».

«لا داعي لذلك» قال بابتسامة صغيرة: «أنا أفهم، العيون

الزرقاء. ما تحتاجينه الآن هو الطعام - ماذا كنت تأكلين بالساعات الماضية؟».

«هذا وذاك» أجابت بغموض: «كان معي بعض الحلوى والبسكويت ثم هناك الموز والتوت الموجود هنا وهناك. فرغت قربة الماء هذا الصباح بالذات - لم أختبر من قبل مدى صعوبة العطش وهوله. انه أسوأ بكثير من الجوع».

«هناك الوفير من الماء بالجوار، لكنك لا تعرفين كيف تصلين اليه».

كانت تسمع صوته لكن الكلمات أخذت تبتعد شيئاً فشيئاً وكذلك زاغت عيونها فتمسكت بذراعه وهمست: «أشعر بالدوار. أظنني على وشك الغياب عن الوعي».

فوراً كانت ذراعيه حولها وأخفض رأسها نحو الأسفل.

«ساعدي نفسك بالتنفس بانتظام وهدوء. لا داعي للتحرك أو التكلم قبل أن يزول شعور الدوخة هذا».

«أنا... أنا...».

«بهدوء» قال وهو يمسد لها رقبتها.

«أرى أن علي تغذيتك» قال بهدوء بعد لحظات: «ستشعرين بقوة أكبر حالما تتناولين شيئاً ما».

طأطأت رأسها وشعرها الحريري منسدل على وجهها الرقيق. ابتعد للحظات عنها ثم عاد ووضع يده على رأسها.

«هل أنت قادرة على تناول هذا الساندويش؟».

التقت عيونهما وتمتمت: «سأكون على ما يرام».

«هذا ما آمله» قال ووضع الساندويش بيدها بصرامة: «حين تحسنين قليلاً بعد، سأعد لك الشاي».

«حقاً؟» هتفت بوهن مبتهج: «سيكون ذلك رائعاً».

«حسناً، لكن تابعي طعامك الآن».

«سأفعل» قالت وقضمت قليلاً من ساندويشها ونظرت اليه: «لا أشعر بالدوار الآن».

«أجل» قال ونهض كأنه لا يصدقها وتابع: «لا تستطيعين منع ذلك».

«أنت لا تحتقرني أليس كذلك؟» سألته باندفاع عفوي وهي تشعر بالحيرة التامة للبريق الذي ظهر بعيونه.

«لا تتكلمي فقط كُلي» رد بغموض.

«حسناً» قالت برقة كأنها تتلهف لإرضائه: «أعرف أنني تسببت لك بالكثير من الإزعاج».

«ليس أنت فقط. شقيقك» قال ورماها بنظرة ما وابتسم.

ظلت صامتة واحتسيا الشاي وهي تشعر بعودة قوتها اليها.

«ستستعيدين عافيتك تماماً بعد لحظات» علّق أخيراً حين تجرأت ونظرت اليه.

«هذه أفضل وجبة تناولتها قط» قالت بامتنان عميق.

«أظنها كانت كذلك» قال بابتسام: «كم هو عمرك على كل حال؟».

«أربع وعشرون» قالت.

«تبدين أصغر من ذلك» قال.

«هذا لأنني أشعر بالعجز الآن».

«بالاعتماد الكلي على شخص آخر تقصدين؟».

«أجل» هزت رأسها وهي تدرك أنه يعتبر النساء. حتى أفضل النساء. كمصدر ازعاج ومشاكل.

«ما الذي جعلك تقررين ترك السيارة والابتعاد عنها؟» سألها.

«لا تهزأ بي لكنني خشيت أن تنمو النباتات والأشجار حولي وتغمرني حتى لا يتمكن أحد من ايجادي».

«يا أله السماوات» هتف: «كان عليك البقاء بداخل السيارة. فقد وجدها رجالي في الصباح الباكر وبكل سهولة».

«اذن فقط خالفت قاعدة بالغة الأهمية».

«لربما هذا أمر بسيط نسبة لفتاة صغيرة لكن...».

«لا تضع اللوم على مايكل» قاطعته بتعمد: «قطعنا الآلاف من الأميال دون أي حوادث سيئة وقد اعتنى بي جيداً».

رفع يده بنفاذ صبر وقال: «اذن فأنت تعيشين مع شقيقك؟».

«كلا، لقد قررنا فقط قضاء هذه العطلة معاً. كانت هذه هي المغامرة الرائعة التي كنا نحلم بها طوال حياتنا».

«أفهم من هذا انه ليس لديك خطيب أو ما شابه؟».

«لم يخطر هذا الأمر ببالي حتى» احتجت على الفور.

«أراهن أنك الوحيدة التي لم تفعل» رد بسخرية: «أتعتقدين أنك قادرة على النوم الآن؟».

«أود ذلك من أعماق قلبي» ونظرت بعيداً عنه حتى تخفي دموعها عنه: «لا شك أن ايجادك لي كان معجزة مستحيلة.

الليل كان الأصعب ـ والأكثر رعباً ـ لا ضوء من أي مكان والغابة مسكونة بكل ما هو مرعب ومخيف. أظنني كنت أخاف البعوض والفئران أكثر من الأفاعي والوطاويط».

«أبعدي هذه الأفكار عن رأسك» قال بصرامة: «كنت محظوظة».

نظرت اليه وغمرها شعور غريب: «ما كنت لأصمد ليوم آخر».

«من الأفضل لك عدم التفكير بأي شيء حتى تتمكنين من النوم» قال بصوت بارد.

«حسناً» قالت ولامست ذراعه برقة متابعة: «سأجد طريقة ما لأشكرك كما يجب».

«هذا غير ضروري».

«تبدو غاضباً؟» سألته بحيرة وخيبة.

«كلا أبداً» قال ونهض مبتعداً عنها: «لا أريدك أن تنهاري عاطفياً. لقد مررت بالكثير من المعاناة».

«لكن ذلك كان جميلاً» قالت وهي تحدق به بظهره وأكتافه العريضة.

«غابة المطر؟» قال واستدار ناظراً اليها.

«وماذا غير ذلك؟».

«أنت طفلة غريبة» قال.

«لأنني أجد غابة المطر جميلة؟» للحظة برقت عيونها وتابعت: «أعرف أنه كان من الغباء اكتشاف الغابة بدون مرشد

لكن ذلك كان مذهلاً تماماً. أتينا من المركز الوسط الى كل هذا. الروعة الموجودة هنا خيالية فعلاً».

«البعض يعتبرها عدائية وغريبة».

«ليس أنا خاصة وانني الآن لم أعد وحيدة».

اقترب منها ووضع يده على كتفيها لتجلس قرب النار.

«أنت لن تبتعد أليس كذلك؟» سألت بقلق عارم.

«سأكون هنا» قال وعيونه تتفحصان وجهها: «نامي الآن، أيتها الصغيرة، سآخذك في الصباح الى المزرعة».

«كليتا» تمتمت باسترسال: «سمعت عنها. مملكة خاصة حيث يسنّ الرجل قوانينه الخاصة».

«لا مكان بها لطفلة ـ زهرة مثلك».

وضع شيء ما تحت رأسها بعد أن تمددت على الأعشاب السميكة.

بجهد هائل فتحت عيونها الناعسة وقالت: «من الممتع الشعور بالأمان. شكراً لك».

«نامي الآن. أنت شبه نائمة كلياً الآن» أبعد خصلات شعرها عن وجهها وتابع: «كلا، لا أريد أن أسمع أي كلمة أخرى».

أمرها فتحت شفاهها المرتعشة وتمتمت: «تصبح على خير» قبل أن تأخذها أمواج النوم عميقاً.

استيقظت بساعات الفجر الباكرة على صوت صراخها وشعرت بإحاطة ذراعين صلبتين حولها على الفور. أخذت تصرخ والدموع الغزيرة تنساب على وجهها مدراراً.

«ساندرينا توقفي! أنت تحلمين... تحلمين!».

الصوت. انها تعرفه. عادت مجدداً للاستراحة بمحيط تلك الأذرع وفتحت عيونها وتمتمت: «آسفة».

قبل أن تنفجر ببكاء صامت.

«لا بأس» قال بهدوء: «ابكي اذا كان ذلك يشعرك بالراحة».

«كلا» قالت وهي تمسح دموعها بيد مرتعشة: «لا شك انك تعتبرني حمقاء كبرى».

«أنت شجاعة بما يكفي» أجابها باختصار.

«كان ذلك الدب» همست بارتعاش: «كان يقترب مني مباشرة».

شعر برعبها وقال: «أتعتقدين انك قادرة على الاستغراق بالنوم مجدداً اذا بقيت قربي هكذا؟».

«لكن لا أستطيع أن أزعجك... وألقي بكل ثقلي عليك!» احتجت بوهن.

«لست بعبء» قال وذراعيه تحيطان بها وتقربانها منه: «وأيضاً ما تحتاجينه الآن هو الوجود الانساني قربك».

كان ينظر اليها بعيون آمرة فلم تستطع إلا أن تتنهد باستسلام وتتكىء برأسها على صدره وعادت لتغمض عيونها مجدداً وقد تبخرت كوابيسها المرعبة. كل ما حدث. الضياع، الانقاذ بهذه الغابة الساحرة كان غريباً عليها لكن لا شيء كان أكثر غرابة من وجودها هكذا بين ذراعي هذا الرجل القوي. الأقوى من أي رجل آخر رآه والذي كانت تدين له بحياتها.

تحسنت أحوال ساندرينا بمساء ذلك اليوم وهي مستلقية على سرير ضخم ومريح بغرفة نوم جميلة بمنزل كالفن ريستاو.

فتح الباب ودخل شقيقها مغلقاً إياه خلفه.

«اذن فقد استيقظت أخيراً» قال وأساريره تعكس ارتياحه وسعادته لرؤيتها بخير.

«مرحباً!» ابتسمت له ساندرينا باطمئنان: «لست معتادة على هذه الخدمة الملكية».

- «تأكدي من انني لا أحظى بنفس هذه الخدمة» رد شقيقها على الفور.

جلس على الكرسي قربها وأمسك بيدها بحب: «تبدين أحسن كثيراً الآن» قال بدفء: «رؤيتك تستحق التعنيف الذي حصلت عليه من ريستاو لأراك آمنة يا حبيبتي. انه يعتبرني أخرقاً تماماً ويعاملني على ذلك الأساس وأعتقد انني أستحق ذلك بالفعل».

«اذن هو لم يكن منصفاً معك» قالت بحنق: «كان علي البقاء قرب السيارة كما طلبت مني. لم يكن قاسياً جداً معك، أليس كذلك؟».

هز مايكل رأسه بيأس وقال: «النأمل فقط ألا نزعجه مجدداً. على كل حال، كان على حق، لم يكن من داعي لأعرضك لكل ذاك الخطر. لم أشاهدك عاجزة وشاحبة كما كنت حين أحضرتك في الصباح. أنت تعنين لي أكثر من أي شيء آخر بالعالم بأجمعه ساندرينا».

«سيتغير ذلك» قالت بمرح: «على كل حال، ستتمكن من الرحيل في الغد. قال الطبيب أن كل ما أحتاجه هو بعض الراحة».

«أتعتقدين أن ريستاو سيتركك تذهبين هكذا؟» قال مايكل بشبه صراخ: «صدقيني يا صغيرتي، لن تفعلي شيئاً إلا اذا أراد هو ذلك. قضيت هنا ما يكفي من الوقت لأعرف أن كلمته هي القانون هنا ولهذا لا تتخذي أياً من القرارات المتسرعة. وأيضاً لست قوية كفاية للذهاب الى أي مكان بعد».

الارهاق والضعف الواضح كان بادياً على وجه ساندرينا وقالت: «يا شقيقي الحبيب تبدو بالغ التوتر».

«أعرف ذلك. انه ريستاو وتأثيره علي. تعرفين انني لن أقوم بأي شيء لإيذائك».

«بالطبع أعرف ذلك مايكل» قالت بسرعة: «آسفة لأنه تسبب لك بوقت صعب وقاسي، لكنني سأكون مستعدة للمغادرة في الصباح الباكر. سنذهب الى الشاطىء ونتنعم بالاستلقاء على الرمال. ولا أية تجربة جديدة تكون بلا فائدة مايكل. والمهم بما حدث اننا قد نجونا».

«والفضل يعود الى ريستاو. لم أشعر بالعجز وقلة الحيلة بحياتي كلها كما شعرت بهما في الأيام القليلة السابقة. رجل مثل كالفن ريستاو يعرف تماماً كيف يسيطر على نفسه وعلى الآخرين من حوله حسب ما أراه».

«على أحدهم أن يكون محظوظاً. انه رجل ضخم وذو نفوذ

ولا يتعامل مع الحمقى بسعادة. لكنه من أنقذ حياتي وبطريقته الخاصة كان لطيفاً معي. ما كنت لأنجو لولاه».

«أعرف! انه بطل حقيقي! يصعب شعور الأحمق الأخرق لن أنسى هذه التجربة ما حييت».

«لربما كونه رئيس هنا فعليه اتخاذ واجباته بشكل جدي تماماً، لكننا لسنا جزءاً من قبيلته. سنرحل في الغد».

«كلا يا حبيبتي. امنحي نفسك بعض لوقت. اذا ما تحركت الآن فستجرين نفسك جرّاً. لندع كالفن ريستاو يقرر ذلك انه الرئيس».

«لربما لا أريد الاهتمام به وبرأيه كالجميع هنا».

«هل من اقتراح آخر؟ قد يصدمك التحرك في الغد. استلقي الآن ودعي صحتك تتحسن».

«أنا أحسن الآن» أصرت ساندرينا: «لقد ارتكبنا خطأ لكن نستطيع التعايش مع ذلك والحمد لله لم ينتهِ هذا الخطأ بمأساة. سأستريح الليلة وفي الغد سأتكلم. أنا واثقة أن السيد ريستاو لن يرغب بتحملنا مطولاً».

«حالما تشاهدين المكان هنا فلن ترغبين بتركه مطلقاً» قال فجأة وقد تجلى حماسه وحيويته مجدداً: «هذا عالم مختلف ساندرينا، كبير وحرّ. لا عجب أن لرجل يصبح متكبراً ومليئاً بالثقة. يا له من تحدي امتلاك مكان ضخم كهذا. انها جنة استوائية بكل معنى الكلمة. كنت أتحدث مع الرجان وأمتطي الخيول. «كليتا» هي احدى أفضل المزارع بالمنطقة بأكملها وآل

ريستاو هم الأفضل والرائدين بذلك في المنطقة. يبدو انهم كانوا يملكون منجم ذهب في الماضي. يدعونه المواطنون بالرجل العظيم. انه رمز السلطة في الجوار ولهذا فستتلقين دون شك بعض أوامره».

تابع مايكل حديثه عن المنطقة بحماس وسعادة وقال: «أرغب فعلاً بالعمل هنا لبعض الوقت».

«بماذا؟» هتفت ساندرينا بذهول.

«هذا مستحيل أعرف ذلك. لم يخطر الأمر ببالي من قبل إلا بهذه اللحظة. كل شيء هنا ممتع ومسلي والمحيط قريب جداً. من الواضح أن لدى كالفن ريستاو يختاً يجول به على الجزر القريبة. ولا ينقصه المال بالطبع. لا شك أن ذلك حرفة ما».

«لكن لا نستطيع أن نبقى... حتى ولو وظفك السيد ريستاو عنده فهو سيدعك تعمل لساعات طوال ولن تنال إلا الإرهاق والتعاسة».

«سيظل ذلك حلماً» قال وعيونه الزرقاء تشع: «يا الهي! المرء يتنشق الحرية هنا ويعيش بكنفها... وهل سبق لك وشاهدت غروباً كهذا بحياتك كلها؟ انه رائع ولا أظنني سأتمكن من العيش بالمدينة مجدداً».

«وماذا عني أنا؟» سألته بهدوء: «أم انك تفترض انني سأجد وظيفة ما بالمطبخ؟».

«لا تكوني تافهة. على كل حال، لست مؤهلة للقيام بالطهي. هم بحاجة لامرأة قوية وليست بجمالك بالطبع حتى لا

يبدأ الرجال بالاقتتال عليها. في الحقيقة ريستاو لا يوظف الإناث».

«والجواب على ذلك واضح كفاية. لا أظنه معجب بهن».

«عليه فقط أن يعجب بزوجة شقيقه».

«ظننتها السيدة ريستاو» قالت وهي تتذكر الشقراء النحيلة التي كانت في الحديقة لحظة وصولها.

«انها كذلك» قال وهو يصفر بإعجاب: «هل ترغبين بأن أخبرك بالمزيد؟».

«ليس اذا كان ذلك ثرثرة العجائز» قالت وهي تشعر بالذهول لارتياحها لما أطلعها عليه مايكل. ما همها هي لو كان لكالفن ريستاو زوجة شقراء جميلة؟.

برقت عيون مايكل وتابع: «من الواضح أن الشقيق الأصغر «دان» قتل بحادث تحطم طائرة قبل حوالي السنتين كانت تقله ورجلا أعمال آخرين لم ينجوا أحداً منهم».

«يا للفظاعة!».

«على كل حال «ماروشكا». وهذا هو اسمها أصيبت بانهيار نفسي حاد وجاءت الى هنا للعلاج. مضى عليها أكثر من ثلاثة أشهر الآن. لم يتفوه أحدهم بشيء بهذا الخصوص لكنني استنتجت بحدسي انها كانت بالماضي مغرمة بالأخ الأكبر لكنها تزوجت الأخ الأصغر بدلاً منه لأسباب أجهلها ولديها طفلة بعمر السابعة أيضاً».

«اسمع نصيحتي ولا تحاول مناقشة هذه الأمور مع أحد»

سألت ساندرينا بحكمة.

«لكن العكس هو الصحيح» دافع مايكل عن نفسه: «الجميع هنا يجد المتعة والتسلية بمناقشة أمور الآخرين وبالرغم من جمال ماروشكا الصارخ إلا أن أحداً هنا لا يحبها».

«يا له من تعليق جميل».

«يبدو كأنها تحتقرهم أو لربما السبب هو وجهها الجميل البارد. تكلمت معها لمرتين فقط ولم تكلف نفسها عناء الرد علي بل اكتفت بإحناء رأسها الأشقر الجميل. أتظنين لون شعرها طبيعياً؟ لم يسبق لي أن رأيت شعراً بهذا الإشقرار».

«سأخبرك بذلك حين أشاهدها» قالت وعادت الى استلقاءها: «أنت لا تنزل بالمنزل اذن؟».

«كلا أنا أقيم حالياً مع هاري باسكو وزوجته. انه رئيس العمال لدى ريستاو، رجل ضخم ولديه منزلاً به العديد من الغرف الشاغرة خاصة بعد أن تزوجت ابنتاه. وأظن ماريا زوجته مسرورة لوجودي معهما انها امرأة ممتازة طيبة وحنونة جداً بعكس مارغريتا».

«هل نُشر أي شيء عن فقداننا في الأدغال في الصحف؟» سألت ساندرينا فجأة بقلق.

«تم ذلك بالفعل لكننا أرسلنا برقية الى والدي نخبره به أننا وجدناك ولا شك أن ريستاو كان متحرقاً لإيجادك بسبب قلق والدي الهائل عليك. أتعرفين يكبرني كالفن ريستاو بخمس سنوات فقط لكني أشعر انني أصغر منه بأجيال. أعرف انه

جعلني أغضب من نفسي لأقصى درجة: كنت واثقاً انني لن أراك مجدداً بوجهك الصغير وجدائلك الصغيرة وعيونك البراقة. أنت فتاة جذابة وجميلة جداً علي الاعتراف بذلك» انحنى مقبلاً وجنتها بحنان: «لكم أنا مسرور انك بخير ساندرينا. لربما لن أتمكن من رؤيتك مجدداً اليوم. اضطررت لتوسل كالفن ريستاو للسماح لي بالدخول لرؤيتك لبعض الوقت. اعتني بنفسك يا حبيبتي».

«وأنت أيضاً. قد يسمح لي بمغادرة السرير في الغد».

«سيخبرك الريس بذلك» قال ببعض الجفاف: «سيسمح لي هاري بالتنزه على الجياد معه في الصباح. سنقوم بتفحص الماشية والأبقار بالطرف الغربي من المزرعة. ظننت أيام رعاة البقر قد تبخرت لكن ها هي متواجدة بالفعل، ستقود القطيع عبر البراري الى الحظيرة».

«لا خطر بذلك أليس كذلك؟» سألته بقلق.

«هناك دوماً خطر يا صغيرتي. لا أكترث لنفسي. لكني لا أريدك أنت أن تتأذي. يعرف هاري كل القصص القديمة والتي ستجعل شعرك أجعداً لو لم يكن كذلك بالأصل. يسمى المكان هنا الغرب المتوحش وهو كذلك بالفعل».

«يسحرك هذا كما أرى بوضوح» قالت بثقة وهي ترى بريق عينيه.

«هل ستلومينني اذا ما رغبت برؤية المزيد؟».

«فقط كن منتبهاً ولا تحاول اظهار بطولاتك. فالأمر هنا

يختلف عنه في بلدتنا».

«يقول هاري انني فارس بالطبيعة».

«انت كذلك فعلاً. هل تظن أن أحدهم سيأتيني بطعام ما؟».

استدار من مكانه قرب الباب ويده على المقبض وسألها: «هل أطلب منهم ذلك؟ هناك مدبرة منزل والعديد من الخدم».

«كلا، لا تفعل» قالت بخجل: «لقد اعتنوا بي جيداً وأنا واثقة أن أحدهم سيأتي الي بالطعام. كم الساعة الآن على كل حال؟».

«السادسة. لربما سيهتم بك الرجل العظيم بنفسه».

«لا آمل ذلك مطلقاً. ثوب النوم هذا كبير جداً على مقاسي».

«لكنه جميل ورقيق. فقط استلقي على الوسائد وكوني كالقطة الجميلة الصغيرة. ما مررت به يضع أقوى الفتيات بالسرير لأسابيع وأسابيع».

سمعا صوت طرقات على الباب وفتحه مايكل وسمعته يقول: «آه، هذا أنت سيد ريستاو!».

نظر الداخل الى الشاب بعدم اهتمام ولم يجب ثم دخل الغرفة.

«هل نمت جيداً؟» سأل ساندرينا.

«أجل» ردت وهي تشعر مثل مايكل انها صغيرة السن وخجلة.

«أراك في الغد اذن ساندرينا» قال مايكل وتحضر للمغادرة.

«أظنني سأكون قادرة على المغادرة بذلك الوقت» قالت بلهجة قاطعة.

«يا للطموح الكبير» قال كالفن بهدوء: «ستحتاجين لأسبوع كامل قبل أن تتمكني من السفر».

«شكراً سيدي» قال مايكل: «تصبحون على خير».

«تصبح على خير» رد كالفن ببرود: «حين تخرج بالغد مع هاري نفذ حرفياً ما يطلبه منك. أتفهم رغبتك بتجربة كل شيء على الفور، لكني لا أرغب بالاستماع الى المزيد من الاصابات أو السقطات القوية فسيسهل تورطك بالمتاعب حين تهتم بجمع شتات القطيع. فقط لا تدع الماشية تسير أمام عنق حصانك».

«لن أفعل» قال مايكل بحماس: «تصبحين على خير ساندري».

«انتبه لنفسك» قالت له بلهفة.

«يبدو متحمساً جداً ليصبح مزارعاً» علّق كالفن بعد ذهاب مايكل.

«لطالما كان متحمساً ليصبح العديد من الأشياء» قالت محاولة المحافظة على هدوئها. لكن العيون الزيتية كانت داخل عيونها على بشرتها ووجهها.

«تبدين بحالة أفضل كثيراً».

«حقاً؟ أرغب بمغادرة السرير بالغد».

«لن يؤثر عليك التجول داخل المنزل. آمل انك تشعرين بالجوع؟».

بغرابة هي لم تكن كذلك الآن. ليس منذ دخوله الى غرفتها.

«حسناً؟» حثها: «لا شك انك راضية انني الرجل نفسه الذي أتى بك من الأدغال».

«لا أرغب بالتسبب بالإزعاج لك» قالت وهي تقول لنفسها أنه يعتقدها مجنونة بالطبع لتحديقها به بتلك الطريقة.

«وماذا علي أن أفعل؟ أن أرميك خارجاً؟» قال بمرح: «الكل هنا يعرف انك مررت بوقت عصيب. فقط حاولي الاستراحة. بنهاية الأسبوع ستحظين ببعض الوزن الاضافي وسأكون سعيداً حينها بالسماح لك بالمغادرة».

«ألا أستطيع النهوض وتناول العشاء؟» توسلته العيون الزرقاء الجميلة.

«أنت تنهضين منذ الآن» قال بتهكم رقيق: «حسناً. لكن ما الذي سترتدينه؟».

«حسناً...» قالت وهي تنظر الى ردائها: «ما الذي حلّ بملابسي؟».

«ستخبرك جانيت بذلك. جانيت هي مدبرة منزلي. قابلتها من قبل».

«بالطبع. كانت بالغة اللطف معي».

«عليها أن تكون كذلك. هي من أرسلني لأتأكد من حصولك على عشاء جيد».

«سأدهشك» وعدته وهي تشعر بالارتقاء والسعادة فجأة.

«جيد من الأفضل أن نهتم الآن بمسألة ملابسك».

هذا ما حدث بالفعل لأن ماروشكا دخلت غرفتها بعد وقت قصير من مغادرة كالفن ريستاو لها. كانت ماروشكا شقراء جميلة بقامة طويلة تشبه بخطواتها وملابسها عارضات الأزياء.

«أين تقطنين؟» سألتها ماروشكا فوراً وهي تنظر اليها بتفحص.

«في ملبورن» أجابت ساندرينا وهي تشعر بعدم الارتياح.

رمت ماروشكا الملابس القليلة التي كانت تحملها على السرير وتابعت: «تعرفين انك تسببت بإفساد رحلة مهمة كان كالفن سيقوم بها؟».

«كلا، لا أعرف».

«اذن. فأنت تعرفين ذلك الآن» نظرت الى جسد ساندرينا وقالت: «من الواضح انك نحيلة جداً».

«لم أكن كذلك، فقد فقدت حوالي ٣ كيلو منذ وصولي الى هنا ـ شكراً لك على إعارتي ثوب النوم هذا. كان علي أن أعرف انه لك».

«احتفظي به» قالت ماروشكا دون أي لطف: «حقاً يا عزيزتي يبدو انني لم أحضر شيئاً يناسبك. أنت قصيرة جداً».

«طولي ١٦٧ ولا أعتبر من القصيرات بالطبع» قالت وهي تشعر بالانزعاج والارتباك: «لطف منك أن تزعجي نفسك لكننا لا تتشارك بنفس المقاس».

«حسناً، على الأقل أمنا لك المأوى! لم لا تتناولين العشاء هنا بغرفتك هذه وستصل أغراضك الخاصة في الصباح. أرسل

كالفن رجلاً لإحضار حقيبتك وأيضاً لدفع فاتورة الفندق».

«لكن ذلك لم يكن ضرورياً. كنا سنفعل ذلك حين نعود الى «برتا». لا شك أن صاحب الفندق يعرف القصة الآن».

«هذا لا شيء» قالت ماروشكا: «الجميع يعتمد على كالفن. دوماً وعلى الدوام».

«أنا لم أتقصد اضاعة نفسي» أشارت ساندرينا بهدوء.

«أفهم ذلك يا عزيزتي، لكنك عاجزة تماماً الآن».

«ضعيفة قليلاً فقط. هذا كل شيء وأنا واثقة انني سأتمكن وشقيقي من المغادرة في القريب العاجل».

«لا تأخذي الأمر من منطلق عاطفي» قالت ماروشكا ببرود: «هل أنت واثقة انني لا أستطيع فعل أي شيء آخر لك قبل أن أذهب؟».

«كلا. شكراً لك».

«احتفظي بالروب على الأقل» قالت وهي تشير الى الروب الحريري الأزرق: «سيلامس الأرض بالطبع لكن لا مشكلة بما أن الأرض مكسوة بالسجاد اذا رغبت بذلك فأستطيع أن أريك المنزل قبل أن تغادري. لقد شهد العديد من القصص الدرامية وله جو رائع. لا أشعر بالراحة والسعادة كما أفعل هنا في «كليتا» وكالفن هو الرجل الوحيد الذي أعرف أن بإمكاني الاتكال عليه».

تناولت قطعتا الملابس عن السرير وقالت: «سأخبر السيدة جانيت انك ستتناولين العشاء في غرفتك فهذا أفضل ألا تعتقدين

ذلك؟».

لم تجب ساندرينا لأن الباب فتح بتلك اللحظة ودخلت جانيت نفسها الغرفة وكومة من الملابس على ذراعها.

«حسناً يا صغيرتي تبدين أفضل حالاً بكثير الآن».

«ما الذي تحملينه سيدة جانيت؟» سألتها ماروشكا ببرود متعالي.

«شيء أو شيئين» ردت جانيت وعادت بنظرها الى ساندرينا: «عرفت ان ملابس السيدة ماروشكا لن تناسبك لأنك أصغر حجماً منها ولهذا فقد أحضرت لك هذه الثياب من منزل ماريا. فبعد أن تزوجت ابنتها سارة تركت كل ملابسها القديمة بالمنزل واصطحبت فقط الجديدة منها. وسارة بنفس مقاسك بالضبط. ماريا متشوقة جداً لرؤيتك وتأمل بأن تفعل حين تتحسن حالتك. شقيقك يقيم معهم وهي تحبه جداً».

«كان هذا لطفاً كبيراً منك شكراً لك ولها وسأذهب بالغد لأشكرها بنفسي فقد أخبرني مايكل كم هي لطيفة وطيبة معه».

«لن تشاهدي الكثير هناك» ردت ماروشكا: «لكن كان لطيفاً من السيدتين التفكير بك».

استحمت ساندرينا بعد مغادرة المرأتين ثم نزلت لتناول العشاء بغرفة المائدة. وهناك شاهدت ساندرينا وجهاً جديداً لماروشكا التي كانت تتحدث بعذوبة وتضحك بطبيعية بعيداً عن كونها امرأة تعاني توتراً نفسياً كما تدعي وعيونها متعلقة بعيون شقيق زوجها.

«كن رقيقاً يا عزيزي وافتح لنا زجاجة شراب أخرى. هذا كل ما أحتسيه».

نهض كالفن بمرح: «بهذه الحالة سأبقي مكان احتفاظي بالزجاجات سراً من الأسرار».

«ليس أنت يا عزيزي. فلطالما كنت أجدك كريماً!» ووضعت يدها على ذراعه وشعرها الفاقع وردائها الأبيض الناصع يسرقان كل الضوء.

«ماذا عنك ساندرينا؟» سألها وعيونه تحدقان بها.

«كلا شكراً. أنا أسمح لنفسي باحتساء كوب واحد فقط».

«ولم ذلك؟» سألت ماروشكا بتهكم رقيق.

«لست معتادة عليه وأفضل ألا أفعل».

«هذا هراء» ردت ماروشكا: «سيفيدك ذلك».

أخذت السيدة جانيت وفتاة أخرى تنظفان المائدة ورمقت جانيت ساندرينا بإعجاب والثوب المشجر الجميل يناسب قوامها الرشيق ويظهر جمال ألوانها.

«كانت هذه وجبة رائعة سيدة جانيت» قالت ساندرينا بابتسام.

«أنا مسرورة انك استمتعت بها يا عزيزتي».

نظرت ماروشكا الى ساندرينا بعد مغادرة مدبرة المنزل وقالت: «أنت لم تخبريني بعد عما تفعلينه حين لا تكونين عاطلة؟».

«أنا معلمة مدرسة» قالت ساندرينا.

«معلمة مدرسة؟» ردت: «يا لها من مهنة غير عادية».

«أجدها مهنة بالغة الأهمية» ردت ساندرينا ببعض الدهشة.

«لا أقصد الانتقاد يا عزيزتي، لكنك بالغة الخجل والحياء لتكوني معلمة مدرسة. لا شك أن لا تأثير لك على الأطفال».

«أفترض انهم يرونني من منظار يختلف تماماً عن منظارك» ردت ساندرينا بأدب: «في الواقع أنا ناجحة تماماً بعملي. أنا أتمتع به وأنا مغرمة بالأطفال».

«كم جميل منك الشرح» ردت الفتاة الأخرى بابتسام: «أنت فعلاً فتاة جذابة، خرقاء قليلاً ربما لكن دون شك أنت ستتركين العمل وتتزوجين».

«لا يوجد أحد بحياتي حالياً» قالت.

«لكنك رومانسية أليس كذلك يا عزيزتي؟» قالت ماروشكا بإصرار: «أقصد تبدين رقيقة جداً».

«كالفطر؟» سألت ساندرينا والحنق بدأ يشتعل.

ضحكت ماروشكا قليلاً وقالت: «لكم تشعرين بالإهانة بسرعة. أخبريني قليلاً عنك - من هما والديك. لم قررت التجول بالريف مع شقيقك. يبدو غير مسؤولاً ويافعاً».

«ألأننا أضعنا الطريق في الأدغال؟» سألتها ساندرينا بتحدي: «أخبرتني السيدة جانيت أن ذلك يحدث دوماً. المكان ساحر هنا جميل ومتوحش - لسوء الحظ لم نكن نعرف الكثير حول مكامن الخطر بذلك. لكننا سافرنا لآلاف من الأميال دون أن يقع لنا أي مكروه. شقيقي عزيز جداً علي. وأنا محظوظة

بكوني شقيقته».

«أجل هكذا مشاعر تدفيء القلب» قالت ماروشكا: «بالطبع لم يكن والداك سعيدان بالسماح لك بالذهاب بهكذا رحلة؟ بعض الفتيات يكن واثقات وقويات لكنك تبدين مختلفة بعض الشيء وكأنك ترعرعت بجو من الحماية».

«أظن هذا صحيحاً» ردت ساندرينا ببطء: «حياة هادئة عادية. مايكل يختلف عني. دائماً كان يرغب بالتنقل والابتعاد لرؤية أماكن جديدة ومقابلة أناس جدد. حيث خطط لرحلتنا جعل الأمر يبدو بالغ الاثارة فرغبت بالمجيء معه. الحياة تمر بسرعة...».

«آه أنت طاعنة بالسن» قال كالفن الذي عاد الى الغرفة الآن وبيده زجاجة الشراب.

«وتريد أن تقع بالحب» قالت ماروشكا بعذوبة وكأن ساندرينا قد وثقت بها وأطلعتها على مكنونات قلبها.

«أنا لم أقل ذلك» ردت على الفور.

«خائفة؟» سألها وعيونه تحدقان بها.

«لربما هذا ضرب من الذكاء» ردت ماروشكا على الفور: «الحب والرغبة قد تكون تجربة محطمة. ليس ان الطفلة الصغيرة هنا معرضة للخطر. فقد تتزوج من شاب جميل يعتمد عليه وتعيش بسعادة كل حياتها».

«دون أي شيء دعونا لا نتكلم عن الحب وعن الزواج» قال كالفن بغموض وأخذ يسكب الشراب لماروشكا.

«لا أظن انني أخبرتك ماروشكا أن آل كونراد سيسافرون في الغد.. ولكني طلبت منهم البقاء لبضعة أيام أخرى».

«أليست هذه مفاجأة سارة» قالت بصوت اكتسب العذوبة مجدداً.

«آل كونراد هم أصدقاء مقربون» شرح كالفن لساندرينا: «مارك هو أحد أهم رجال الأعمال لدينا كما وانه أحد أمهر الصيادين بالمنطقة. قضينا أجمل الأوقات وأمتعها معاً».

«مسابقات عالمية. مسابقات محلية ـ لكم يمتع هؤلاء الرجال أنفسهم» قالت ماروشكا: «أظنك تعرفين شاطىء الباريير، ساندرينا؟».

«كلا» ردت ساندرينا: «كنا مايكل وأنا نفكر بالذهاب الى احدى تلك الجزر».

«سآخذكم طالما انكما هنا» عرض كالفن فجأة ودون توقع.

«يا عزيزي أنت مجنون» قالت ماروشكا وهي ترمقه ببعض الانزعاج: «لن تبقى ساندرينا هنا لكل هذه المدة والآن لديك مارك وباتريسيا. الحمد لله أن ساندرينا ستتفهم ذلك».

«بالطبع» ردت ساندرينا على الفور ونظرت اليه فوجدته يحدق بها بعمق كأنه يقرأ أفكارها فتلعثمت وتابعت: «حقاً، أ... لا...».

«أنت لا تعتقدين فعلاً انني ضيعت كل ذاك الوقت بالبحث عنك فقط لأرسلك بعيداً عن المنطقة دون أن تعرفي شيئاً عن الجزر التابعة لنا؟ الضيافة هنا يا صغيرتي جيدة جداً. وأيـ

ستتمتع بوجودك معنا. لا شك انك بمهنتك وبمظهرك متعاطفة جداً مع الأطفال. طفلة ماروشكا تمارا، ابنة شقيقي ستستفيد من صحبتك».

«هل تعتقد ذلك حقاً؟» سألت ماروشكا ببعض الحدة: «الصغيرة المسكينة قد تقوقعت على نفسها مذ وفاة والدها. لا تتكلم ولا تطيع. ولا أظن أن فتاة بلا خبرة وصغيرة بالسن كساندرينا ستكون ذات فائدة. تمارا بحاجة لاستشارة تخصصي. أنا والدتها لكنها تعاملني على انني غريبة».

«لا تكتئبي لذلك ماروشكا» قال كالفن لها بهدوء ثم استدار الى ساندرينا: «أريدك أن تقابلي تمارا في الغد ومع اننا نخبرك بذلك مسبقاً فقد تجدين من الصعوبة بمكان اختراق دفاعات الصغيرة. لكني أظنك تعرفين كم يصعب على طفلة مثلها فقدان والد محب وحنون. كانت تمارا تعشق والدها. لم يكن بإمكان أي شخص إلا الوقوع بحب شقيقي. كان رجلاً جيداً. جيد جداً».

شيء ما لم تحدده ساندرينا بالضبط برق للحظات داخل عيون ماروشكا الخضراء، فكرة مريعة ما، ثورة ما لكنها لم تعلق بشيء واكتفت باحتساء ما تبقى من كوبها.

«ساندرينا؟» سألها كالفن الآن بانتظار ردها.

واحتارت بم تجيب نظرت اليه وزاد ارتباكها وحيرتها وخوفها. دعوته خطرة هو خطر انه يثير بداخلها مشاعر وأحاسيس لم تختبرها من قبل مطلقاً طوال سني حياتها الأربع

والعشرون السابقة.

«هل أنت خائفة لهذه الدرجة من الموافقة على دعوتي؟» سألها كأنه يقرأ أفكارها.

«لقد قمت بما فيه الكفاية لي حتى الآن» ردت دون أن تنظر اليه.

«اذن فأنت تدينين بي بشيء ما. حققي لي رغباتي. شاهدي كل ما بإمكان المناطق الاستوائية أن تقدمه لك. كل ما أريده بالمقابل هو أن تكوني ضيفتي لتستمتعي بالمكان ولربما لتساعدي ابنة شقيقي الصغيرة».

«لا أستطيع تحمل رؤية طفلاً تعيساً» قالت ساندرينا بصوت منخفض.

«أتظنين أننا نستطيع تحمل ذلك؟» كان رد ماروشكا المرير المباشر.

«آسفة سيدة ريستاو. أدرك ذلك» ردت ساندرينا على الفور: «بالطبع لا أملك التدريب الكافي والخبرة الضرورية لمساعدة طفلتك».

«لو كان ذلك ينفع» قاطعها كالفن: «لاستعادت من الأطباء المتخصصين الذين ذهبت اليهم. تشعر تمارا انها وحيدة تماماً. لقد تأذت، تأذت بعمق فانعزلت بعالمها الخاص. كل ما تحتاجه هو بعض التفهم والرفقة. شخص خارج محيط العائلة. كان الوقت عصيباً على ماروشكا نفسها وتمارا كانت تحب والدها وتحبني ولهذا لا أعرف لِمَ تتحاشاني. أنا حقاً لا أعرف

لماذا».

«لكن يا عزيزي أنت تعرف انها قد استراحت منذ عودتنا الى «كليتا»» قالت ماروشكا وهي تلامس ذراعه: «لا يجب أن تفكر انك المسؤول عن إحجامها هذا. لا تستطيع كانت تمارا تحبك جداً بالأيام الماضية. أنت لم تنسَ ذلك بالطبع».

«انها تعزل نفسها عن الحياة الواقعية» قال ونظرة عاصفة داخل عينيه.

«أعرف ذلك» ردت ماروشكا بأسى.

«لا أعرف ما بإمكاني فعله لها» قالت ساندرينا: «لكني أستطيع أن أحاول التحدث اليها. لربما قد تطلع شخصاً غريباً بعيداً عن العائلة عما يضطرم بداخلها من مشاعر وأفكار».

«لا أظن أن أمامك أية فرصة بذلك» قالت ماروشكا بعدائية وصلابة أثارت دهشة ساندرينا واستغرابها.

«لسنا بصدد البحث عن معجزة ماروشكا» قال كالفن ببعض الصرامة: «شخصياً أنا أظن وجود ساندرينا بالجوار سيساعد كثيراً. ليس كونها صغيرة السن ومعلمة أطفال بل لأنها ليست قوية بطبيعتها. لا تخطئي، ما عانته من مصاعب كان جماً لكنها نجحت بتخطي ذلك بشكل جيد جداً. بعد بضعة أسابيع من الآن سنعيدها الى والدها والى عالمها الخاص ورأسها ممتلىء بذكريات سعيدة وسارة».

«لكن ماذا عن مايكل؟» قالت وهي تشعر انها تُدار بشكل ذكي.

«مايكل سيجيش. قد نشد من ساعده ببقائه هنا. انه مغامر، شاب يأخذ كل المخاطر، لكن لا يستطيع أن يخاطر بحياة شقيقته. وأيضاً أخبرني أن رحلتك معه قد انتهت. بعد رؤيتك للجزر كان سيصطحبك الى المنزل».

«يبدو انك تحدثت معه مطولاً؟» سألته ورفعت عيونها اليه.

«الآن وقد ذكرت ذلك أقول أجل لقد فعلت» قال وبريق من الاستمتاع يظهر داخل عيونه: «شقيقك وافق على هذا الأمر بشكل جيد. لكني لا أعرف بشأنك بعد».

«هيا ساندرينا استسلمي، لا أمل لك بالانتصار. كالفن هو من يقوم بكل القرارات هنا» قالت ماروشكا وامتعاضها بادي من اقتراح كالفن هذا.

«لا أعرف. يجب أن أفكر بالأمر» قالت وبالرغم من محاولتها للنطق بالكلمات بثبات إلا أن شفاهها ارتعشت لأن احساسين متناقضين كانا يضطرمان داخلها. أحدهما هو الإثارة والآخر هو التحذير ولا شك أن ذلك كان يبدو داخل عيونها الزرقاء الواسعة.

«نامي وأنت تفكرين بذلك» قال وشيء ما بصوته دفعها لرفع رأسها.

وتشابكت نظراتهما وتساءلت ماذا عليها أن تفعل؟ انه شخص مسيطر وقادر وقد وعدته بقيامها بأي شيء لرد جميله عليها وكما يبدو يريدها أن تحقق وعدها ذلك. شيء غريب ما كان يسكن ملامحه بهذه اللحظة ولم تستطع ساندرينا ابعاد

ناظريها عنه ولم تستطع الهروب.

«لننتهي من هذه المسألة الآن» قالت ماروشكا بكثير من الانزعاج: «لن ألومك ساندرينا إذا ما رغبت برفض ما يطلبه كالفن أظن هذه فكرة أفضل فنحن سنبدأ بفصل الخريف قريباً وستفتح المدارس أبوابها ولا شيء سيساعد طفلتي الصغيرة إلا الوقت».

قمر الليل

قمر الليل

الفصل الثاني
مساعدة تمارا

كانت الشمس مشرقة وساطعة صباح اليوم التالي والأزاهير بالحديقة الغناء كانت متفتحة للأشعة الذهبية المتناغمة مع زقزقات العصافير التي تحمل كل ألوان الجمال وتتنقل من شجرة إلى أخرى بتناغم منسجم. كل أفكار ساندرينا الآن كانت سهلة ومرتاحة فهي تدرك أنها لا تختلف عن ابنة أخيه بالنسبة له وانه لا يهتم بها كأنثى مطلقاً فهو رجل قدير، كبير وصاحب نفوذ وسلطة وليس من اتصال بينهما. حسناً ستبقى هنا وفق رغبته وستحاول ردع أفكارها اليافعة الرومانسية حول وقوعها

بغرامه فهي أصلاً التقت به وفق ظروف دراماتيكية جعلتها تتصور أشياء وأشياء. سرحت شعرها جيداً مبعدة تلك الأفكار عنها فمن الواضح أن انسجاماً ما يدور بين كالفن ريستاو وزوجة شقيقه. فقد رأتهما ساندرينا يتمشيان معاً بالحديقة بعد عودتها الى غرفتها ورأتهما يتوقفان ورأت ذراعي ماروشكا تلتفان حول أكتاف كالفن ولم تستطع مشاهدة المزيد لأن ناراً ما اندلعت بداخلها. لكنها فهمت الآن طبيعة الأقاويل التي حدثها عنها مايكل: لا شك أن ماروشكا الجميلة تسعى لإيقاع كالفن بحبها هذا اذا لم يكن قد وقع أصلاً.

ارتدت بنطالاً من الجينز وبلوزة بيضاء ضيقة ثم نزلت الى الحديقة. كانت بمنتصف الشرفة حين فتح باب كبير على الشرفة فجأة واندفعت منه طفلة صغيرة شهقت حالما رأتها.

إلا أن الفتاة انسحبت الى غرفتها على الفور دون أن ترد.

«*يا الهي!*» *قالت ساندرينا* وسارت الى غرفة الفتاة ووقفت على عتبة الباب حتى لا تقتحم خلوة الطفلة وتنفرها منها.

«لا بأس تمارا» قالت برقة: «أردت فقط أن أطلب منك أن تريني الحديقة. انها كبيرة جداً ومن الأفضل السير بها مع شخص يعرفها تماماً».

لا حركة داخل غرفة النوم ثم تحركاً بسيطاً.

«أرجوك تعالي وارشديني عليها تمارا. أريد أن أسألك حول العديد من الأشياء. الطيور تصنع أعشاشاً لها على الأشجار هنا أليس كذلك؟ هناك ببغاءاً هناك الآن. أظنه ببغاء من النوع

الذهبي؟».

«كلا!».

نظرت ساندرينا الى الفتاة الصغيرة ذات الشعر والعيون الداكنة والتي لا تحمل شيئاً من جمال والدتها بجسدها الصغير النحيل والتي كانت تحدق بساندرينا برضى حاولت إخفاءه.

«الببغاء الذهبي نادر هنا. تستطيعين قضاء أسابيع بأكملها وأنت تحاولين رؤية إحداها إلا إذا ذهبت إلى الخليج».

«قيل لي أنها طيور خلابة؟».

«أجل والأشخاص الشريرين الذين يبيعون الطيور يحتجزونها ثم يخدرونها ويبيعونها للأجانب».

«يا للفظاعة» قالت ساندرينا بتعبير.

«أعرف هذا منذ سنوات وسنوات» تابعت تمارا: «ألست معلمة؟ عليك أن تكوني ذكية».

«أنا عادة كذلك» قالت ساندرينا بابتسام: «لكن بإقامتك هنا طوال حياتك فلا شك انك تعرفين الكثير من الأشياء الممتعة. أنا مسرورة لأن دروبنا التقت».

حدقت تمارا بها بحيرة ثم قالت: «أخبريني كيف تسببت لنفسك بالضياع في الغابة. تقول أمي انك مجنونة دون شك لاعتقادك أن بإمكانك التنزه داخل الأدغال بمفردك».

«رغم ذلك وبطريقة غريبة كانت تلك تجربة سأتذكرها طوال حياتي. غابة المطر جميلة جداً ورائعة بنباتاتها الغريبة وأزهار الاوركيد المنتشرة بها والاشجار التي تتشابك مع بعضها البعض

وتلك الحشائش التي تنمو على جذع الاشجار».

«تسمى الابايتس. انها تنمو بسبب الرطوبة العالية. كانت غابات المطر منتشرة بكل مكان بأيام جدي والآن هناك المزارع ومصانع الألبان وتربية المواشي مثل مزرعة «كلينتا»... ألم تشعري بالخوف أثناء الليل؟» سألتها وكأنها تتوقع منها أن تكذب بالرد.

«أجل وبشدة» وارتعشت ساندرينا متذكرة رعبها آنذاك: «بلحظة يكون هناك ضوء الشمس الخافت ثم يسيطر الظلام الدامس...».

«لا تتكلمي عن ذلك ان كنت لا ترغبين بذلك» قالت تمارا ورمتها بنظرة أخرى: «أظنك كنت شجاعة جداً».

«تقولين هذا من باب اللطف فقط».

«كلا. ليس تماماً. أنا فقط أعرف ما هو شعور الخوف هذا. لون شعرك جميل».

«أتعتقدين ذلك حقاً؟» وبعفوية مدت ساندرينا يدها للطفلة التي أمسكت بها وبدون تفكير كما يبدو سمحت لها بالسير معاً الى الحديقة: «كنت أتعرض للكثير من الإغاظة والمضايقة حول لونه وأنا بالمدرسة. وهذا ما هو متوقع حين يكون لون شعرك أحمراً، لكن الآن وبعد أن كبرت دكن لونه قليلاً. حين كنت بمثل سنك كان أحمراً قانياً».

«لون شعر أمي كان داكناً مثل لون شعري» قالت تمارا بصوت فقد بريقه فجأة: «أظن من السخف صبغ الشعر لكنها

تفضله أشقراً».

«انها جميلة جداً» تمتمت ساندرينا وهي تتنشق نسيم الصباح.

«أنا واثقة انك معجبة بعمي كالفن؟» سألت الطفلة.

«أترين، أنا لم أضيّع داخل الأدغال فقط بل تعرضت لهجوم دب متوحش ومرعباً».

«حقاً؟ أمي لا تعرف ذلك».

«لربما لم يذكر لها عمك هذا حتى لا يقلقها، لكن الحادثة كانت حقيقية. اندفع الدب نحوي واضطر عمك لقتله. جعلت من نفسي أضحوكة... وصرت أصرخ وأصرخ».

«فقدت السيطرة على نفسك؟» سألتها تمارا بلطف.

«أجل فعلت... أردت فقط الاختباء».

«قد يبدو هذا غريباً فعلاً لكنني أرغب بالاختباء بدوري أحياناً».

«هذا مفهوم تماماً» قالت ساندرينا وهي تتابع السير بطبيعية: «لا تعتقدي أن الكبار لا يشعرون بنفس تلك الرغبة بعض الأحيان. قد تصبح الحياة صعبة ليست كلها رضى وسلام».

«صحيح» ردت تمارا بتنهد.

قررت ساندرينا تغيير مسار الحديث هنا وأخذت تسأل الطفلة عن الأزهار والطيور وتسمح لها باستعراض معلوماتها التي كانت فخورة بإظهارها.

الصباح كان دافئاً وكانتا بطريق عودتهما الى المنزل حين

أمسكت تمارا فجأة بيدها وقالت: «تقول أمي انك سترحلين اليوم».

«ليس علي ذلك. طلب مني عمك البقاء لبعض الوقت كضيفة عنده».

«ولم لا تبقين؟».

«في الواقع أنا أرغب بذلك. أنا لا أعرف شيئاً عن هذه البقعة من العالم، بعكسك تماماً».

«آه انها بقعة رائعة سأقول لك. انها جميلة» وأشارت تمارا الى جهة البحيرة متابعة: «هناك العديد من الأشياء التي أستطيع أن أريك اياها».

«حسناً اذن سأستمتع بذلك».

«حقاً؟» قالت بحماس ثم عادت الى البرود متابعة: «تقول أمي انني لست مصدر اهتمام وتسلية مطلقاً».

«أنا واثقة انها لم تقل ذلك تمارا».

«لم تقله لي أجل. لكني سمعتها تقول ذلك. في الواقع انها على حق. أنا دائماً أتصرف كالبلهاء المعتوهة».

«تقصدين انك أحياناً لا تشعرين انك بمزاج مناسب للضحك وللابتسام؟».

«ليس أحياناً بل غالباً».

«حسناً يسرني أن أقول انني أجدك مسلية جداً تمارا كما وانك شديدة الملاحظة. أنا واثقة أن بإمكانك تعليمي الكثير».

كانا يقتربان من المنزل وتوقفت ساندرينا قليلاً تتأمل هذا

القصر الرائع.

«رأيت العديد من المنازل... العديدة، لكني لم أشاهد منزلاً بهذه الروعة».

«نحن أغنياء. ألست كذلك؟».

«لا أبداً. لا أحد يصنع ثروة من التدريس لكني أستمتع بذلك».

«سأذهب الى مدرسة داخلية بنهاية الصيف» قالت تمارا وعيونها على يدها المتشنجة.

«لا يبدو انك سعيدة لذلك؟».

«أكره الذهاب اليها» قالت وعيونها تفتشان وجه ساندرينا: «فكرت الآن بسؤال أمي بإرسالي الى مدرستك أنت. على الأقل سيعرفني أحدهم هناك».

تحدثت ساندرينا اليها بهدوء، مع إدراكها أن الطفلة كانت تعيسة تماماً.

«مع انك لا تعتقدين ذلك الآن يا صغيرتي لكن قد تكون المدارس الداخلية متعة حقة. هناك العديد من الفتيات وسيكون لديك الكثير من الأصدقاء».

«أبداً!» ردت تمارا بصوت مختنق وركضت قبل أن ترد ساندرينا بشيء.

أسرعت ساندرينا خلفها وقلبها يتقطع. يا للطفلة المسكينة! كلتاهما تعرفان أن تمارا لن تكسب الأصدقاء بسهولة والألم الهائل الذي سكن عيون الصغيرة صدم ساندرينا وأذهلها.

فقط أمر جَلَل جعل تمارا تتوقف عن الركض. حالما وصلت الى الشرفة وعيونها تغشاها الدموع سمعت صوت نحيب قطة ما بالجوار. وصلت ساندرينا اليها وأدارت وجهها الشاحب اليها.

«اسمعي!».

تهالكت ساندرينا على الكرسي وقالت: «لن تجدي صعوبة بالسباق أبداً. أنت تركضين كالصاروخ».

«انها احدى القطط» واقتربت تمارا منها: «هل تسمحين لي بمناداتك ساندرينا؟».

«بالطبع. أنا أناديك بتمارا».

شدت تمارا على ذراع ساندرينا وقالت: «أعتقد القطة الصغيرة الغبية عالقة على جذع شجرة ما».

«أين؟» نهضت ساندرينا على الفور بنشاط.

«هناك» صاحت تمارا: «كيف وصلت الى هناك؟ لا أفهم ذلك».

«أفهم ذلك الآن» قالت ساندرينا وهي تلتقط أنفاسها: «أظنها قررت القيام بمغامرة صغيرة لكن النزول لم يكن سهلاً كالتسلق».

ظهرت حبات العرق على جبين الصغيرة وتمتمت: «اذا لم تنقذيها فستموت».

«لا تكوني سخيفة. تعرفين القصة القديمة والمعروفة منذ عهد الفراعنة. للقطط ٩ أرواح».

«انها صغيرة وقد استنفذت أرواحها كلها».

«اذن فمن الأفضل أن ننقذها. أظنها قادرة تماماً على الاهتمام بنفسها لكني لا أرغب برؤيتك متكدرة. صدقيني يا حبي لقد عشت مع القطط كل حياتي».

«أرجوك» همست تمارا بإصرار.

«حسناً» ردت ساندرينا وهرعت لإنقاذ القطة العالقة على غصن مرتفع يطل على شرفة القصر.

«تعالي يا حلوتي» نادت ساندرينا القطة بعد أن تسلقت بدورها الغصن المرتفع. لكن القطة أبت أن تتحرك فأدركت ساندرينا أنها وقعت بمأزق والسلام. وكانت تقترب ببطء قليلاً قليلاً من القطة الصغيرة وحين مدت يدها للإمساك بها قفزت القطة عليها مما أفقدها توازنها وجعلها تسقط عن الشجرة الى الحشائش الغضة أسفلها فيما نزلت القطة بسلام على الأرض.

هرعت تمارا اليها والرعب يتآكلها وأخذت تنادي باسمها لكن لم تكن ساندرينا قادرة على الرد عليها. كان رأسها يدور وشعرت بألم هائل بظهرها.

«تمارا» صاح كالفن الذي وصل الى المكان: «يا الهي» تمتم وهو ينظر الى ساندرينا دون أن يصدق ما يراه.

«لقد سقطت عن الشجرة» أوضحت تمارا ووجهها يعكس صدمتها.

«هذا كثير جداً» قال وهو يتحسس أضلع ساندرينا: «في الواقع هذا جنون بعينه. ما الذي بحق السماء جعلها تتسلق الشجرة؟».

«كانت تنقذ القطة» قالت تمارا من بين أنفاسها اللاهثة.

«لا بأس» تمتمت ساندرينا وهي تفتح عيونها وقد خف الألم كثيراً الآن: «أنا لم أتسلق الأشجار منذ فترة طويلة».

«لا تتحركي» أمرها وعيونه متقلصة بوجهه الداكن: «لم أعرفك منذ فترة طويلة لكن لا أثق بإبعادك عن ناظري للحظة واحدة دون أن توقعي نفسك بالمشاكل».

«الذنب ذنبي» انتحبت تمارا.

«بحق السماء، ليس بي أي شيء» قالت ساندرينا وأمسكت بذراع الفتاة وأجلستها قربها على الحشائش: «أضمن لك شيئاً واحداً... القطة العفريتة عادت الى منزلها بسلام».

«أجل لقد فعلت».

«هذا رائع» قالت ساندرينا بمرح.

«من الجيد أن الصغيرات يستعدن قوتهن بسرعة» قال وعيونه تفحصانها بدقة ولم تصدق ان مرآها يسبب له الرضى. كان هذا غير معقول.

«كالفن! ما الذي يجري؟» جاءهم صوت ماروشكا التي ظهرت على الشرفة وأخذت تقترب منهم: «كالفن!».

«ساندرينا هل تظنين انك قادرة على النهوض الآن؟».

«بالطبع أستطيع».

تحركت تمارا فوراً لمساعدتها على النهوض إلا أن عمها كان أسرع منها لرفع ساندرينا عن الأرض.

«في المرة القادمة التي تشاهدين بها قطة بوضع صعب

استدعيني واهتمي بشؤونك الخاصة».

«حاضر سيدي، كل ما تقوله سآخذه على محمل الجدية».

«لا تقل لي أن ساندرينا تعرضت لحادث آخر؟» قالت ماروشكا باستغراب.

«هذا صحيح» ردت ساندرينا بابتسام وهي تشعر بالطفلة التي تصلبت قربها: «يبدو أن هذه أصبحت عادة لدي مؤخراً».

«تمارا!» نادت ماروشكا طفلتها بصوت صارم: «ادخلي الآن وتناولي فطورك».

«أستأتين معي؟» سألت تمارا ساندرينا.

«ستدخل ساندرينا بعد لحظات» أخبرها عمها: «اسبقيها أنت وإلا فسيحين موعد الغداء لا الفطار».

وقفت ماروشكا مع طفلتها للحظات على الشرفة قبل أن تسير بها إلى الداخل ونظرتها الباردة والحادة ترمق الفتاة الأخرى وكالفن.

«كيف فعلت ذلك؟».

«لقد زلت قدمي».

«يا إلهي أنا أقصد تمارا» قال: «لقد تخطيت أسوارها بالفعل».

«هذا هو الشيء العجيب» ردت ساندرينا: «بعكسك تماماً انها تتقبلني».

«أنت هنا. لابد انني أتقبلك بدوري» قال والاستمتاع يظهر على ملامحه.

«يبدو انني سأبقى هنا».

«لا تأسفي لذلك» قال وهو يرفع ذقنها لتنظر اليه.

«من أجل تمارا» قالت وهي تشعر بأصابعه الممسكة بذقنها وعيونه تدرسانها.

«بالطبع. أنت طفلة جيدة. وأنا الذي اعتقدت انه لم يعد من وجود لهكذا أطفال».

الأيام بسرعة بالأيام التالية وفيما لعبت ماروشكا دور مع آل كونراد تمتعت ساندرينا وتمارا بقضاء أيام ممتعة وسارة باكتشاف الجمال الكامن بالأماكن الطبيعية حول القصر. وأكثر الأمكنة جمالاً لهن كان البحيرة الساحرة بالسندس الأخضر المفروش بكل أزهار الربيع والتي كانت لا تبعد عن القصر إلا مسافة قصيرة.

«أليس هذا رائعاً» هتفت تمارا بطفولة وهي تقفز داخل المياه المنعشة فيما ساندرينا ترمقها برضى، لتحسن سباحتها، وهي جالسة على فراش الحشائش الملونة.

«ألن تأتين؟» سألتها تمارا.

«للحظات» ردت ساندرينا ووضعت سلة النزهة عالياً على الشجرة وتهادت بخطواتها الرشيقة الى المياه اللامعة.

«ألست بارعة بالسباحة؟» هتفت تمارا بإعجاب.

«بما فيه الكفاية» ردت ساندرينا بمرح: «أنت بدورك قد تحسنت كثيراً بالأسبوع الماضي».

«هذا بفضل مساعدتك لي. عديني انك ستبقين كصديقة

لي».

«تمارا حبيبتي...» هتفت ساندرينا لصدى الأسى بصوت الطفلة.

«قبل ذهابي للنوم دائماً أصلي حتى نبقى أصدقاء الى الأبد. عديني انك لن تضحكين؟».

«ومن الذي يضحك؟» قالت بحب صادق مسح الأسى من وجه الطفلة.

«من المؤسف اننا لسنا شقيقتين. لطالما أردت شقيقة. قال والدي يوماً انني سأحظى بواحدة لكنه مات».

كانت هذه هي المرة الاولى التي تأتي بها تمارا على ذكر والدها فاقتربت ساندرينا منها أكثر.

«لكنك تحتفظين بذكريات جيدة عنه، أليس كذلك يا حبيبتي؟».

«حاولي ذلك. حاولي أن تفقدي والدك» صاحت تمارا فجأة وأسرعت بالسباحة مبتعدة نحو الضفة الأخرى.

أسرعت ساندرينا الى جانبها وقالت: «بهدوء يا حبي، لن تتمكني من قطع كل هذه المسافة».

«آه، ساعديني» قالت تمارا وعيونها تعكس رعبها.

«استرخي، أمسكت بك، هيا استرخي».

لكن عواطف تمارا كانت كالبركان وأخذت تناضل وتناضل وهي تصرخ: «اتركيني».

«يكفي هذا» هتفت ساندرينا: «وتوقفي عن الصراخ فهذا لن

ينفع أبداً».

تمكنت ساندرينا أخيراً من سحب تمارا الى الضفة بعد أن استنفذت كل قوتها فاستلقت على الحشائش والفتاة قربها ودموعها تغسل وجهها.

أحاطت ساندرينا بكتفيها وضمتها الى حضنها فيما تابعت الطفلة شهقاتها وبكاءها المرير.

«لا بأس يا حبي! ابكي ان أردت... فأنت بحضن صديقتك الآن».

«لماذا... لماذا لم أمت مع أبي؟ أردت ذلك بشدة» هتفت الطفلة بصوت يقطع أوصال القلب.

«يا حبيبتي، الكل مسرور لأنك على قيد الحياة. تعرفين أن والدك ما كان ليرغب بأن تكوني ميتة أبداً. أعطاك الحياة ويريدك أن تنعمي بها قدر المستطاع».

«لم أقصد ايذائك ونحن داخل الماء» همست الطفلة من بين دموعها.

«أعرف ذلك! أخبريني كيف تشعرين الآن؟».

«بالسوء العميق. لا أفهم ساندرينا لم على الآباء أن يموتوا؟».

«هذا ما شعرت به بالضبط حين توفت أمي» قالت ساندرينا وهي تمسد شعر الطفلة: «شعرت بالخوف وبالوحدة الهائلة. لقد كانت امرأة مميزة. لم أظن أن الله سيسمح بموتها».

«لكنه فعل».

«أجل يا حبيبتي، لله طرقه الخاصة. التي لا أفهمها أحياناً. لربما هذا تفكير أناني. لكنني واثقة أن أمي سعيدة جداً الآن».

«أجل لكننا لا نستطيع رؤيتهم».

«كلا، هذا هو الأمر الفظيع بالمسألة لكنهم يستطيعون أن يرونا. وأنت تريدين أن يكون والدك فخوراً بك أليس كذلك؟».

«كان الشخص الوحيد الذي يحبني فعلاً» قالت الطفلة بثقة ونضوج.

«لكن والدتك تحبك» احتجت ساندرينا.

«بصراحة هي لا تحبني. أقسمت ألا تنجب طفلاً آخر حتى لا تفسد قوامها. كانت دائماً تقول أشياء مريعة لوالدي... حول العائلة، وحول عمي. كانت تسمي والدي غلطتها الكبرى. كنت أسمع كل مجادلاتهما. كنت أتسلل على كرسي الدرج بدلاً من الخلود الى فراشي».

«وبالطبع سمعت الكثير من الأشياء التي لم تفهميها».

«أتعتقدين أن أمي أرادت فعلاً الزواج من عمي كالفن؟».

«أنا واثقة انها كانت تحب والدك بعمق. لكن من الطبيعي للذين يحبان بعضهما البعض أن يتجادلا بين الحين والآخر. هذا يصفي الأجواء. أنا واثقة أن والديك ما كانا ليتجادلان لو أدركا انك تستمعين لذلك».

«أتعتقدين ذلك؟ أنا لا أعتقد ذلك. أصبح عمي كالفن كالغريب الآن بعد رحيل والدي».

«انه يحبك بعمق تمارا» قالت ساندرينا بصدق لعلمها أن هذه

حقيقة بالفعل.

«ربما هو يتظاهر بذلك فقط. ما أنا على كل حال مجرد نكرة. أنا لا أشبه أمي مطلقاً».

«وكيف تعرفين ذلك؟» قالت وهي تمسك وجه الطفلة: «ستكبرين وتتفتحين ولك عيوناً ساحرة».

برقت عيون تمارا للحظات وبجهد كبير ابتسمت: «وأنت بالتأكيد كنت طفلة جميلة جداً وأنت صغيرة».

نظرت ساندرينا الى الطفلة برضى وانحنت وقبلتها على وجنتها وقالت: «سيكون كل شيء على ما يرام تمارا صدقيني».

نزلت ساندرينا مساء ذلك اليوم الى غرفة الطعام لأن آل كونراد كانوا مدعوين على العشاء برفقة شقيقها مايكل. «ستيف كونراد» الابن الاصغر للعائلة كان بالغ الجاذبية ومن الواضح انه اعجب بساندرينا لأنه تدبر أن يجلس قربها وظل يحدثها طوال الوقت بطريقته الممتعة المسلية.

«أظنك شاهدت الكثير من جمالات البلدة هنا آنسة ساندرينا لكن عليك رؤية سحر الشاطىء الذهبي».

«الحجز لنا جميعاً بفندقك ستيف» اقترحت ماروشكا التي تجلس قرب كالفن وتحيطه بكل اهتمامها منذ بداية السهرة.

«ولم لا؟ تبدو هذه فكرة رائعة» قال بسعادة: «المكان هناك ساحراً. أليس كذلك كالفن؟».

«لولا انني أعيش هنا لعشت هناك» قال بابتسام.

«أليس أنت» قالت زوجة بن كونراد: «فأنت تستمد قوتك من

كليتا نفسها».

«أقول إن إدارة كليتا تشبه إدارة البلدة الخاصة» قال بن: «أفكر بتطبيق نفس أساليب كالفن هنا على الشاطىء الذهبي. فهو يضعني على قمة الشجرة الآن دون أن أجد مفراً من ذلك».

«ليس تماماً» قاطعه كالفن: «كل ما فعلته فقط هو فتح بعض الأبواب أمامك».

«أكثر من ذلك يا عزيزي فأنت ووالدك من أنار أمامي الطريق. هذا غريب كيف انك كنت بارعاً باتخاذ القرارات كالفن حتى مذ كنت صغير السن».

«تقبل ذلك» قالت زوجة بن بابتسام: «لك كل اليد بنجاح بن».

تابع الحديث بين الرجال حول كليتا وشؤونها وكان مايكل يلتهم كل كلمة يتفوه بها أحدهم ومن الواضح انه كان مسحوراً تماماً بكل ما يدور حوله. ثم تطرق الحديث الى الدعوة وابتسمت ساندرينا رداً على طلب بن.

«من اللطف منك طلب ذلك مني».

«والآن علينا التقرير متى سيطير بكم كالفن الى هناك».

تتابعت السهرة بشكل ممتع وسارت ساندرينا مع شقيقها خارج القصر.

«يبدو أن ستيف وقع بغرامك من النظرة الاولى».

«لا أظنني أعجبت به» قالت ساندرينا بخفة.

«كانت تلك أمسية رائعة» قال مايكل بحماس: «لا أظنني

سأحظى بدعوة أخرى الى القصر لكن هذه الأمسية ستكفيني كل حياتي».

«أنت ترغب بالبقاء هنا اذن؟» سألته وهي تشعر فجأة بالوحدة والوحشة.

«أنا بحاجة للوقت يا حبي. هناك الكثير لاشاهده وأقوم به. ألا تفهمين ذلك؟».

«بالطبع أفهم ذلك» قالت: «أتمنى لو كان بإمكاني مشاركتك حياتك لكن المرأة لا تتمتع بنفس حرية الرجل. على المرأة أن تحفظ داخل المنزل وان تتم حمايتها. كالفن ريستاو سيرغب بإبعادي على كل حال».

«لكنه يا حبيبتي يعاملك معاملة ملكية».

«أعرف. أحياناً أحلم انني لا أزال في غابة المطر. أنا أدين له بحياتي».

«لا تذكريني بذلك!» قال وهو يعانقها: «أتعرفين بماذا يناديك؟».

«انه ينعتني باسم معين؟» نظرت اليه بدهشة.

«الطفلة الساحرة» قال وهو يرفع ذقنها: «أتعرفين كيف هو هنا. انه رجل ذو مسؤولية كبرى. لن يتركك تذهبين قبل أن يتأكد انك ستكونين بخير تماماً. لا أقصد جسدياً، لكن عقلياً أيضاً. كانت تلك تجربة مريعة، أعرف، مررت ببعضاً منها أنا بدوري وتقولين انك لا تزالين تعانين من الكوابيس».

«لم يدعوني بذلك؟» سألته بصوت مبحوح.

«أنت بريئة جداً كما تعرفين».

«انه ليس رجلاً صبوراً ولا أريد ان أكون متطفلة. يجب أن أعود الى المنزل ـ ليس اننا نملك منزلاً لنا بعد وفاة والدتي».

«كلا» قال مايكل بهدوء لكنها شعرت بتوتره: «كيف علق والدي بحق السماء بامرأة مزيفة مثل مارغريتا».

«انها تحبه. أنت تعرف ذلك. انها ذكية جداً بتعاملها مع والدي. كنا نحن فقط مصدر المتاعب بحياتهما. أنا واثقة انها مسرورة جداً الآن ببقاء والدي لها بمفردها».

«من الأفضل أن تكتبي لها».

«لقد فعلت. وعليك أن تفعل بدورك» قالت فوراً.

«آسف يا حبي، لا تحاولي أن تديري حياتي من فضلك. بعد زواج والدي من مارغريتا لم نعد عائلة. ولم لا يقع الخطأ كله على عاتق مارغريتا وحدها. لم يحاول والدي أبداً فهمي. كنت وحدك طفلته المدللة. لكني كنت شيئاً مختلفاً له ربما مشكلة. منذ وفاة والدتي لم نعد مقربين. كنت مسروراً لترك المنزل بالفعل».

«أخشى انك آذيت والدي بذلك» أعلنت ساندرينا بحزن.

«انه يحبك مايكل».

«كما تحب ماروشكا الجميلة تلك الطفلة المسكينة على ما أظن؟».

«ليس هذا من شأننا...».

«ولم لا؟» سألها فجأة: «انها تجعلك تقومين بدور الخ

الممرضة».

«أنت لا تفهم ذلك» ردت بهدوء: «انها فتاة صغيرة رائعة. أصبحت مولعة بها وأريد مساعدتها».

«الجميع متأكد انها بحاجة لذلك» قال بنفاذ صبر: «قد تتمكنين من التعامل مع الطفلة على أفضل وجه لكن سأتفاجأ لو رأيتها تفتح فاها فقط. انها تتجول بالمكان كالبلهاء الصغيرة».

«هذا لأنها لا تعرف كيف تتأقلم مع يأسها. كانت تحب والدها بعمق هائل ووالدتها كما يبدو. بعيدة عنها...».

«لو سألتني لقلت انها تحاول يائسة الفوز بكالفن ريستاو».

«انها بالغة الجمال» سمعت ساندرينا نفسها تقول.

«انها كذلك. أتساءل أي نوع من الرجال سيستهويها؟ لا أراها ملائمة لكالفن مطلقاً. انه صياد بطبعه وهو من سيختار زوجته وحسب ظني اختياره هذا سيكون مناقضاً تماماً لشخصية ماروشكا».

«من الواضح انك لا تكن لها الاعجاب، أليس كذلك؟».

«يا الهي!» قال وهو يرمق القصر: «انها لا تشعر بوجودي ناهيك عن امكانية تحدثها الي».

«مايكل» هتفت ساندرينا بصدمة لشعورها أن شقيقها منجذب الى ماروشكا الجميلة التي لا تتنازل وتنظر فقط لمن تعتبرهم موظفين عندهم.

«انسى الموضوع!» قال بسرعة: «أنا لن أجعل من نفسي أضحوكة ساندرينا».

«يسرني سماع ذلك» ردت وهي تعرف ما الذي يقصده شقيقها بالضبط ودعته وسارت بالحديقة وأفكارها سارحة بما يشعر به مايكل حين أيقظها من أفكارها صوت ليس بغريب عليها.

«ساندرينا!».

التفتت وتسارعت نبضات قلبها وقالت: «هنا».

«تابعي التحدث» أمرها حتى يحدد مكانها بالظلام.

«أنا هنا» قالت.

«وجدتك» قال وأمسك بذراعها متحركاً ببطء وخفة بقامته الطويلة الرياضية: «ما الذي تفعلينه بالظلام هنا؟».

«أفكر».

«فهمت بماذا؟».

«لا شيء جدي» أخذت نفساً عميقاً وتابعت: «أود أن أشكرك على دعوتك لمايكل على العشاء».

«كان هنا لأنه شقيقك وعرفت أن هذا سيسرك».

«بالطبع هذا صحيح» ردت: «كان يتعلق بكل كلمة تنطق بها».

«للأسف تلك لم تكن حالك أنت» قال بسخرية رقيقة: «لو كنت مكانك لما أعطيت ستيف أي تشجيع. انه هنا لكسب الخبرة، لكن بمجال العمل فقط».

«بالطبع أنت تمزح؟» قالت ورفعت عيونها المندهشة اليه.

«كلا. لا أفعل. ليس هذه الليلة. ولا غداً ولا طوال فترة

بقائك هنا. من الطريقة التي كان ينظر بها اليك فإن علاقة الصداقة البريئة بعيدة كل البعد عما يدور بعقله. أنا واثق انك لو كنت تتمتعين بخبرة أكبر لوافقت معي على ذلك».

«أنا أكبر كثيراً من تمارا» قالت ووجنتيها تتوردان بشدة.

«أتعتقدين ذلك؟ ما الأمر على كل حال؟ شيء ما يقلقك».

«ينتابني ذاك الشعور المريع انني أفرض نفسي عليك» قالت بتنهد.

«أنت لا تستسلمين أبداً ألست كذلك؟» سألها بأدب: «في الواقع أيتها الصغيرة، أنا أدين لك بالكثير. سعادة تمارا تعني لي الكثير وأنت تبلين أفضل منا جميعاً بهذا المجال».

«قد يستغرق ذلك فترة طويلة».

«هل يساعد ان عرضت عليك وظيفة؟» سألها: «بما انك تعيسة تماماً بوصفك ضيفتي».

«أريد العودة الى منزلي» قالت وهي تهز رأسها والخوف يجتاحها لتسارع نبضات قلبها وهو قربها.

«ولم كل هذا الخوف؟» قال: «أخبرني شقيقك انكما لا تملكان منزلاً حقاً منذ وفاة والدتكما».

«آمل انه أخبرك أيضاً انني أحب والدي بشدة».

«وهو يحبك. تعرفين جيداً انني تحدثت معه» رفع يده وهزها قليلاً: «أنت تخفين أكثر مما تظهرين».

«أجل والسبب هو أنت» صاحت بداخلها والحيرة تسكنها، كيف تشعر بالقلق على مايكل فيما هي نفسها تكاد تغرق بنفس

التيار؟.

«هلا سرنا قليلاً؟» قال وأدارها بكتفيها المتهدلين: «تجدين الحياة بالغة التعقيد بعض الأحيان ساندرينا أليس كذلك؟».

«أجل، هذا صحيح» تعثرت وأمسك بها: «لا شك انك تعتبرني بلهاء».

«أظنك غافية جداً... لربما تعيشين بعصر آخر. الفتيات الجميلات مثلك يكن عادة متسلحات تماماً ضد الحياة ومليئين بالثقة بالنفس. هناك جو من السكون حولك يوحي بالعجز والضعف الكامل. لا تغضبي مني اذا ما وجدت هذا الأمر مؤثراً جداً».

«لكنك لا توافق على ذلك» قالت وعكست نبرتها بعض التعاسة.

«وهل يهم ذلك بالنسبة لك؟».

«نوعاً ما من الناحية العاطفية فأنا أشعر انني أدين لك بالكثير».

«اذن ادفعي لي» قال بصوت قاسي: «فشل الجميع غيرك مع تمارا إلا أنت. لربما لأنك لست كبيرة كفاية بدورك».

«أنا في الرابعة والعشرين» احتجت.

«لا يهم. ليس المسألة مسألة تاريخ المولد. تمارا تتمتع برفقتك. تجعلينها تشعر بالأمان وبأنها مرغوب بها وحسب ما أهتم به فبإمكانها أن تحبك وتجعلك مقربة منها. كل شيء حولك يتلائم مع طريقة مظهرك».

«أنت تعرف انها تكره فكرة المدرسة الداخلية؟».

«ألا يكرهها الجميع؟» سألها بجفاف: «كرهت كل ثانية قضيتها بها بعيداً عن كليتا».

«تمارا ابنة شقيقك لكنها لا تشبهك مطلقاً» علقت ساندرينا: «أنا متأكدة انها كانت دوماً فتاة مقفلٌ عليها».

«لم تكن يوماً صامتة ومتباعدة كما أصبحت بعد وفاة شقيقي. كان دائماً بالغ الأهمية لها مع انها كانت تجلس بحضني دوماً بتلك الأثناء حين يكون والدها بعيداً. في الواقع تحولت الى غريب في حين انه كان عليها أن تشعر بالاقتراب أكثر من عائلتها».

«لم يكن شقيقك يسكن في كليتا؟» سألته بهدوء.

«ظل يسكن مع والدتي الى أن تزوج» رد بجفاف: «والدتي بالغة الذكاء والجاذبية. لكن بعكسك هي تجد المكان هنا مرعباً وكئيباً. غرق شقيقها خالي برنارد حين كان شاباً بالنهر هنا ولم تتمكن هي من تخطي ذلك ولا التغلب على فكرة الموت والخطر. لهذا كانت واثقة أن أحد أبنائها سيموت خاصة بنمط الحياة القاسي هنا في كليتا. وصممت أن يبقى أحدنا معها في الجنوب وتمكنت من الاحتفاظ بدان معها فيما بقيت أنا مع والدي شرط أن يقضي دان كل عطلاته هنا في كليتا. كنت في الحادية عشر ودان في الثامنة».

«اذن نادراً ما كنت تشاهد والدتك؟» سألته.

«لم تكن ترغب برؤيتي» رد ببرود.

«لربما لم تستطع التأقلم مع الألم».

هز رأسه المتكبر وقال: «لم تكن ترغب بي. كانت تريد دان فقط. والآن انظري كيف دارت عجلة الأمور! والدي غادرنا الى العالم الآخر، ولحق به دان بتحطم الطائرة خاصته. لطالما راودني الشعور أن الذنب يقع على عاتقي. كان دائماً يحاول أن يفعل أي شيء ليرضيني. كان شقيقي الأصغر وكان بطريق عودته ليطلعني على مجريات اجتماع سبق لي وعرفت بشأنه كان جديداً على كل شيء... على العمل، على المفاوضات لكن دوافعه كانت دوماً ممتازة. لم تستطع أمي أن تسامحني أبداً على رغبتي بتشديد هذه الروابط بيننا وجره للعمل هنا في كلتيا. اللعنة على كل كلتيا فهو كان جزءاً منها. كلتيا كانت ميراثه أيضاً مع أن والدي اكتفى بترك مبلغ ضخم من المال له» رفع يده ووضعها على كتف ساندرينا: «لم أخبرك بكل ذلك؟».

«لأنني سألتك».

«أجل» اعترف: «لكني لست سهل الاجابة عادة».

«انها قصة مأساوية جداً».

«لا تحزني قلبك الرقيق الصغير من أجلي» قال وهو يضحك بقسوة.

«لا أستطيع، ولن أفعل» كانت مرعوبة من عمق مشاعرها نحوه.

«ماذا يفترض بهذا أن يعني؟» سألها بصوت صلب تغلفه السخرية الرقيقة تمنت لو تنشق الأرض وتبتلعها لغبائها بإظهار

ما بداخلها نحوه وارتعشت بشدة لشعورها بالإذلال.

اتجه وطواط ليلي صغير نحو الأشجار قربهما فارتعبت ساندرينا وصرخت مخفية وجهها بيديها.

«ما بك؟» قال وهو يضع رأسها على كتفيه: «ليس عليك الشعور بالرعب هكذا بسبب وطواط صغير. انه يسعى خلف المانغو على الشجرة لا خلفك».

«لا أظنني سأتغلب أبداً على تجربة ضياعي. أبداً».

«أظنك تحملت ذلك بطريقة جيدة جداً» قال وهو يسير بها مجدداً نحو القصر.

«لا أزال أذكر دوماً طعم الكرز البري داخل فمي. وكيف كنت أتناول جذور النباتات حين أتضور جوعاً. كنت أعتمد على حدسي باختيار النباتات التي تبدو صالحة للأكل».

«المعجزة انك لم تتناولي شيئاً ساماً أو مؤذياً. هناك نبات أحمر اللون خاص، كان يستعمله الأقدمون كدواء مخدر» أخبرها بجفاف.

«الشعور بالوحدة الكاملة شعور غريب» وجدت نفسها تقول: «حين كنت أستريح من السير كنت أستعرض كل ذكريات طفولتي... والتي تدور بمعظمها حول أمي. عادت الي بشكل حي تماماً. ولم يكن من شيء حولي سوى الاشجار والدغل».

«توقفي عن ذلك أيتها الصغيرة» قال وهو يلامس ذراعها.

«آسفة» قالت وعكس عيونها الضوء المنبعث من القصر: «لست جيدة بالتأقلم هنا».

«انتهى ذلك» قال بهدوء وهو ينظر اليها: «سأصطحبك مجدداً الى غابة المطر. بالنهار، ستكونين بأمان وسأعلمك كيف تنقذين حياتك».

«لا أتوقع منك أن تتابع بدورك انقاذ حياتي» قالت بابتسامة مكسورة.

«هل تشعرين بالنعاس» قال وهو يقربها من الضوء ليحظى بالرد كما يبدو.

«أجل» ردت بابتسام: «المجيء الى هنا قد غير نمط حياتنا بأكمله كما يبدو حياة مايكل وحياتي. فهو راغب بالبقاء في كلينا».

«أعرف» قال بهدوء وسيطرة: «هناك مكان له هنا وقد برهن انه مؤهل لمسك هذا المكان الشاغر. المكان هنا بحاجة للرجال الشباب للعشرات منهم، وبهذا الوقت شقيقك ينجح بذلك فعلاً».

«فيما سيكون علي العودة الى المنزل بدونه».

«لن يطول بك الأمر قبل أن تتزوجي» قال وعيونه مرتكزة عليها: «على شقيقك أن يقود حياته الخاصة».

«اذن هيا خذه بعيداً عني» قالت بحساسية.

«أعرف انه مهم لديك» قال بتقطيب: «لكن ليس عليك أن تعتمدي عليه كلياً».

«ألم أخبرك انني معلمة؟» سألته والدموع تكاد تلمع داخل عيونها.

«ولا أشك للحظة انك معلمة جيدة أيضاً. لكن ليس هذا ما نتحدث عنه هنا. أنا لا أريد ايذائك».

«أظنك قد فعلت» قالت وهي تتحاشى النظر اليه.

«سأرد على قولك هذا حين تكونين أكثر قوة وسأجعلك تعتذرين عن ذلك».

«آه، أي شيء» قالت وابتعدت عنه وركضت نحو درج الشرفة بسرعة طارئة للهروب.

رأتها ماروشكا التي كانت على وشك مغادرة باب الشرفة ولاحظت تعابير وجهها المحتقن.

«يبدو انك تغيبت لفترة طويلة؟».

«كنت بحاجة لتنشق بعض الهواء النقي».

نظرت ماروشكا الى طرف البحيرة حيث كان كالفن يقف بسيطرة كاملة على جسده وعلى عواطفه.

«آه ها أنت يا عزيزي» قالت بصوتها المتصنع: «أنت مليء بالمفاجآت. لم تكن لدي أدنى فكرة عن مكان تواجدك».

«أواظب على اخبارك ماروشكا» قال بابتسام: «ان ما يبقي العازب سعيداً. هو عدم وجود امرأة عليه الرد الدائم على أسئلتها».

«الوقوع بالحب يحدث فجأة» قالت بانتصار ومدت يدها له: «تريد ساميا وبن أن يعرفا سواء أكنا سنذهب الى الشاطىء الذهبي بالطائرة أم باستعمال القارب؟».

«حسناً» قال وصعد درجات الشرفة وعيونه تدرس ساندرينا

ببرود ودقة: «كيف نذهب الى هناك؟ القرار يعود لك أيتها الصغيرة».

«كيف بإمكانها ذلك؟» قالت ماروشكا وهي تقطب بعدم موافقة وقد تلاشت سعادتها.

«أوافقها على ذلك» قالت ساندرينا وهي تشعر بالتوتر القائم حولها.

«لا شك أن لديك فكرة عن الطريقة التي تفضلين بالطائرة أم بالقارب؟».

«بالقارب» ردت على الفور: «أنا أعشق البحر. خاصة المحيط الأزرق الرائع».

«يا للتفاهة» قالت ماروشكا: «سنصل الى هناك أسرع بالطائرة».

«لا بأس» قال كالفن بتكاسل: «أنا بدوري أفضل استقلال القارب».

«وماذا لو أصابني دوار البحر؟» سألت ماروشكا: «نحن لا نعرف بعد كيف سيكون الطقس».

«اذن سيكون علينا فقط الانتظار والمراقبة» قال كالفن بهدوء.

ناداهم ستيف من داخل الصالون وتحركوا جميعاً الى الداخل لكن ليس قبل أن تلتقط ساندرينا رسالة عيون ماروشكا التي كانت تقول وبوضوح: «اللعنة عليك».

كانت ساندرينا وتمارا تسبحان على شاطىء البحيرة ظهر يوم

الأحد التالي حين وصل ستيف الى المكان.

التمع الاعجاب داخل عيونه وهمس: «أنت جميلة، مرحباً يا حلوة».

«أهلاً» ردت بارتباك وهي تراه يركع قربها على الحشائش.

«يبدو انني لا أحظى باللون الأسمر» قالت لتتفوه بشيء ما.

«ولم تفعلين؟» قال ورمق بشرتها الحريرية الكريمية: «كنت أحاول لقاؤك منذ أيام».

«آه».

«لست خائفة مني أليس كذلك؟».

«بحق الله كلا، بالطبع لا» لست خائفة فكرت لكن منزعجة.

«أنت خجولة الطبع أليس كذلك؟ أنت تذكرينني بنوع من الأزهار».

«لم أكن أتوقع وصول أحد! هذا كل شيء».

«انتظري لحظة» قال وهو يمسك رسغها: «آخر ما أفكر به هو اهانتك أو اغضابك».

«لست جيدة بالأحاديث الثنائية والمديح الإضافي يسبب لي الارتباك!» قالت بصدق.

«اذن فأنت تختلفين عن كل الفتيات اللواتي عرفتهن!» قال وابتسم فجأة: «سأتكلم معك كلما استطعت ذلك. لا جدوى من الشعور بالخجل من كونك جميلة جداً. نحن لا نقابل العديد من الفتيات الجميلات هنا».

«متى ستغادر كليتا؟» سألته فقط لتبديل الموضوع. أدركت

تمارا أن لديهم رفقة لكنها وكالمتوقع ظلبت مكانها بعيداً بانتظار رحيل ستيف.

«بعد عدة أشهر أخرى» قال وعيونه تحدقان بها بجرأة: «كان والدي صديقاً لوالد كالفن لسنوات طوال. في كلينا أكون أحد المبتدئين لكن في بلدي أكون الرئيس. أصيب والدي بنوبة قلبية السنة الماضية والآن نريده فقط أن يستريح».

«أفهم ذلك. لكن ما الذي جاء بكم الى هنا؟».

«لا تعرفين شيئاً عن العمل ولهذا تطرحين هكذا سؤال» قال بسهولة: «كلينا اسطورة هنا. ليس من شيء لا أستطيع تعلمه هنا... ما أتعلمه بأسبوع يساوي ما أعرفه بسنة كاملة في بلدتي. أراد والدي ألا أفشل بكسب الخبرة وطلب من كالفن مساعدته بذلك وقد فعل. فهو يدرك كم أن هذا مهماً لوالدي. اذا استطاع المرء إدارة شيئاً بضخامة كلينا فسيتمكن من إدارة أي شيء آخر وبسهولة».

«لا شك انك تقوم بعمل ما هنا الآن؟».

ابتسم لها وقال: «أتحاولين التخلص مني؟».

هزت ساندرينا رأسها وقالت: «كنت فقط أفكر أن تمارا لن تخرج من المياه طالما انك هنا».

«يا للطفلة الغريبة أوافق مع تساؤل العديد من الناس حول حقيقة هويتها».

«عفواً؟» قالت وهي تنظر اليه بذهول.

«أنت لا تكترثين لذلك أليس كذلك؟ لا علاقة لك بالأمر».

«لا أعرف ما الذي تقصده مطلقاً» قالت.

«حين تزوجا، دان والعزيزة ماروشكا كانت الأخيرة واقعة بحب يائس نحو كالفن».

«لا يحق لك قول ذلك» احتجت بخيبة.

«يا حبي قد يكون هذا كثير بعض الشيء عليك. لكن نصف الولاية تعرف ذلك. على أحدهم أن يخبرك بذلك. ستسمعين ذلك دون شك يوماً ما. كان دان رجلاً لطيفاً. كنت أحبه، لكن العزيزة ماروشكا لم تنفعه».

«أرجوك ليس هذا من شأني»، حاولت النهوض لكن يده القوية منعتها من ذلك.

«لا تصابي بالمرارة. الصدق هو دائماً أفضل السياسات. بالرغم من جمالها بذلك الحين الا انها لم تغري كالفن بالزواج منها. لربما لن تتمكن أية امرأة من فعل ذلك، إلا لمشكلة واحدة. من ستكون الحافظة التالية للشعلة؟ يأتي العشرات من أصحاب رؤوس الأموال، ومالكي الأسهم والأقارب الى كالفن فقط للتحدث معه لكن الرجل يريد ابناً من صلبه. اذا قال كالفن لماروشكا كلا مرة فسيكرر لها ذلك مجدداً».

«اذن سيكون عليك الانتظار ومعرفة ما الذي سيحدث» قالت بصوت منخفض هادىء: «يزعجني أن أطرح هكذا سؤال لكن ما الذي قصدته بشأن تمارا؟».

«تريدين من يفتح لك عينيك؟ أقصد انظري جيداً، من تشبه الفتاة؟ ماروشكا مع انها عاهرة بلا قلب إلا انها صارخة

الجمال. الاخوة، كالفن ودان، والدهما ووالدتهما وأجدادهما جميعاً كانوا بالغي الجمال بكل المقاييس. لربما تريدين أن تكوني رقيقة مع الطفلة لكن لا شك انك لاحظت انها تفتقر تماماً للجمال».

«أتمنى انك تعرف ان الأطفال يتغيرون» قالت بحدة: «آمل انك لا تلمح أن السيدة ريستاو كانت تعبث مع شخص من خارج العائلة».

«في الواقع أنا ألمح لذلك بالضبط» أجاب بثقة تامة: «جادلي قدر ما تشائين إلا أن شكل الطفلة لا يشبه أياً من العائلة. لا كالفن الساحر ولا دان الجذاب [illegible] من عائلة ماروشكا نفسها. هذا مثير [illegible] كذلك؟».

«وهذا لا يعني شيئاً بالضبط» قالت بصرامة: «الله يعلم [illegible] كانت تمارا مخلصة لوالدها. أتظن أن الطفل لن يعرف والده الحقيقي؟».

«لا أعرف ذلك فعلاً» قال وهو يجلس قربها: «كما قلت لك، كان دان رجلاً جيداً. عانى كلاهما من طفولة تعيسة بافتراقهما واحد مع والدته والآخر مع والده وما تبع ذلك، لكن دان كان يعشق الأرض التي يسير عليها شقيقه، ولأنصف كالفن أقول انه كان دوماً يلهم الاخلاص. كان دوماً الاكبر، الاقوى الاشجع لكن لم يكن من منافسة بينهما. ولا حتى حول ماروشكا. رمت بشباكها أجل لكنها أوقعت بالشقيق الخطأ هذا هو لب الموضوع ساندرينا، دان كان سمكة ضخمة [illegible]

لكن هذا لم يمنع زوجته من البحث عن غيره وبعض وقت قصير فقط من زواجهما».

«أرجوك توقف» قالت بسرعة وهي تنهض: «أظنها قصة تثير الازدراء. ولو نظرت بدقة فستجد أن للطفلة مقدرات جمالية كبيرة. العديد من النساء الجميلات كان لهن طفولة غير جميلة. وأظنها ستبدو مثل والدتها تماماً حين تكبر».

«أظنك كنت طفلة جميلة» قال وعيونه تبرقان: «دوماً!» وببطء شديد نهض بدوره ووقف جانبها: «هل ستأتين معي لامتطاء الخيل لو طلبت منك ذلك؟».

«لا أملك الوقت لذلك فعلاً».

«أنت حساسة [illegible]» قال وهو ينظر اليها بنفاذ صبر: «لم [illegible] لبعض الأقاويل [illegible] هكذا؟!».

«قد تكون الأقاويل ملعونة» قالت بصوت مبحوح: «لن أقوم بذلك بنفسي».

«اذن أنا آسف. اعتذر بصدق. أظنني كنت أحاول فقط الثرثرة معك. وفوق كل ذلك أريد فقط أن أريك أماكن ستستهويك. أنت تربطين نفسك مع الطفلة، أعرف ذلك، لكنك بحاجة لفترة استراحة».

بدا جدياً وصادقاً فتنهدت وقالت: «آسفة أنا أيضاً، لكن الحقيقة انني هنا لفترة قصيرة من الوقت».

«وما هو الخطأ الذي ارتكبت؟» سألها بحيرة.

لم تجبه وتراجعت قليلاً للإمساك بروب البحر خاصتها.

«ساندرينا؟» نادت تمارا التي كانت تقترب منهما بتردد.

«مرحى» حياها ستيف بابتسامة جميلة.

«أهلاً» ردت ثم أضافت بصرامة: «أليس من المفترض بك أن تكون لدى عمي كالفن؟».

كان هذا جريئاً بعض الشيء لكن لم تستطع ساندرينا أن تعلق بشيء سوى أن ترمق الطفلة بحب.

«أجل، بالطبع، أنت على حق آنسة ريستاو. من المفترض انني بالعمل لكني مسرور بمجيئي الى هنا على كل حال» ونظر على الفور نحو ساندرينا وتابع: «لدي عطلة نصف يوم. يوم الجمعة. وهناك الكثير الذي بودي أن أريك اياه».

«سأعلمك لاحقاً» قالت للتخلص منه.

«اذن سأكتفي بذلك» قال وهو يحييها مبتعداً لخطوات توقف بعدها لأن فارس على ظهر حصان أسود كقلب الليل كان يقترب منه.

«من الذي أرسلك الى هنا؟» قال كالفن ريستاو والذي اقترب منهما وصار بمجال رؤية الفتيات.

«آسف سيد ريستاو... أنا فقط رأيت الفتاتين وقررت أن أحييهما».

طأطأ كالفن برأسه بتسلط وامتعاضه ظاهر وقال: «أمامك عمل عليك انجازه دون ذكر المعاش الذي تتقاضاه. هيا تحرك».

تراءى لساندرينا أن كالفن يرى قلبها المنتفض والذي يكاد

يقفز من مكانه وهي تراه يترجل ويقترب منهما بقامته الرياضية وعيونه داكنتان كالزمرد.

«كم من الوقت قضى هنا؟».

سألها فجأة وكادت هي أن تشهق: «لا أعرف... عـ، عشرة دقائق أو ١٥ دقيقة».

«اللعنة، كان عليك ارساله بعيداً».

«لقد فعلت أنا» ردت تمارا فجأة ودون توقع.

«فتاة جيدة» قال وهو يمسد رأس الطفلة الرطب: «أتوقع منك الاعتناء بضيفتنا».

«أظنه كدرها» قالت تمارا بنضوج.

بسرعة أصبحت العيون الزيتية عليها وسأل: «هل فعل؟».

«آه، كلا» لم تعرف بم تجيب غير ذلك: «أنا مندهشة لاعتقادك ذلك تمارا».

«لكنك كنت مسرورة لرؤيتي أنضم اليكما».

«لربما من الأفضل لنا وضع اشارة «ممنوع الاقتراب من الحشيش»» قال كالفن باستهزاء: «لا تقلقي لن يزعجك أي شخص مجدداً».

«أعطتني ساندرينا دروساً بالسباحة» قالت تمارا فجأة كأنها تنقذ صديقتها.

«أكانت تفعل ذلك الآن؟» قال وهو ينظر الى الطفلة فجأة: «أليس من العجب اذن انك تبدين بصحة ممتازة. ما رأيك بأن تريني ذلك؟».

احمر وجه الطفلة وقالت: «ليس الآن».

«ولم لا؟» سألتها ساندرينا بتشجيع وهي مندهشة لمشاركة الطفلة الصامتة عادة بهكذا مناقشة: «أنت ممتازة نسبة الى سنك».

«آه، أجل، أظن ذلك، حسناً سأفعل» قالت واتجهت نحو المياه وبدأت السباحة.

«أنت فتاة جيدة» قال كالفن وهو ينظر الى ساندرينا الواقفة الى جانبه.

«وأنت متوحش» قالت قبل أن تتمكن من منع نفسها وتنهدت.

«ألأنني طلبت من صديقك الابتعاد؟».

«لا أهتم لأمر الأصدقاء الرجال».

«يسرني سماع ذلك. لن أتحمل أي مداعبة مع الموظفين».

«فهمت ذلك من لهجتك. إن لم أطعك فهل ستجلدني؟».

«أظنني سأفكر بشيء أفضل من هذا» لم يكن ينظر اليها بل الى تمارا التي كانت تسبح قربهما.

رفعت نظرها اليه دون أن تفهم تماماً ما الذي يقصده إلا أنه لم يعد غاضباً.

«أتظن أن بإمكاني امتطاء الحصان يوماً ما؟».

«عفواً» قال وعاد ليحدق بها: «بالطبع تستطيعين. تبدين رقيقة جداً. ومن المذهل الاعتقاد أن بإمكانك ذلك».

«بإمكاني» قالت بابتسام وهي تلوح لتمارا.

«لأية درجة؟ تأكدي من انني سأختبر ذلك بنفسي».

«حقاً؟ لماذا؟ أتجد هذا شيئاً يدعو للدهشة؟» سألته بجفاف.

«يهمني جداً أن أعرف انك قادرة على الاهتمام بنفسك دون ذكر شيء عن اهتمامك بخيولي».

«اذن أنت قلق على حصانك؟» سألت.

«ممكن، فأنا أحب أحصنتي».

تشابكت نظراتهما للحظات بدت كالدهر وشعرت ساندرينا بعمق وشدة انجذابها نحوه بإحساس تشعر به للمرة الاولى بحياتها.

«ما هو الشيء الذي يدفعك لتكوني عصبية لهذه الدرجة معي؟» سألها وهو قريب منها بشدة.

«لا أستطيع تحمل أصحاب الأملاك هذا كل شيء».

فابتسم وقال: «فقط اكتفي بتعاملك مع الأطفال! أظن تمارا استنفذت كل قواها».

«نادها. فستأتي اليك».

«صحيح» قال بابتسام. أذاب مفاصلها قبل أن يتوجه نحو الطفلة التي كانت تقترب مع عمها منها وحركاتها كلها تنم عن كونها من آل ريستاو.

«كان ذلك رائعاً تمارا» هتفت ساندرينا بابتسام وهي تتجه نحو الطفلة مباشرة بالمنشفة.

«اعلامة جيدة أخرى لساندرينا اللطيفة» علق كالفن: «برهني لي انك قادرة على الفروسية وسأعطيك أفضل حصان لدي».

قمر الليل

الفصل الثالث
ركوب الخيل

قام كالفن ريستاو بالتأكد من قدرتها على الفروسية صباح اليوم التالي بالضبط. ومع انها لم تكن ماهرة تماماً إلا انها كانت جيدة نوعاً ما.

«فتاة جيدة، كل ما تحتاجينه هو الامتطاء لعدة مرات» قال وناولها لجام الحصان لأحد الأولاد المختصين.

«لم أعتقد انني سأنجح بالاختبار مع كل هذا الانتقاد».

«الارشاد يا طفلتي» قال: «أنت بعيدة تماماً عن الخبرة بعد».

«لم أمارس الفروسية منذ سنوات» شرحت بخجل.

«اذن فسترغبين بحصان هادىء وجيد. الفرس هذه ستكون مناسبة جداً».

«لكنها جميلة» عبرت ساندرينا بحماس.

«يسرني انها أعجبتك. سأشعر بالراحة وأنت على ظهرها» قال: «قومي بالتنزه عليها كل صباح، لكن لا تمتطيها بمفردك لمسافة بعيدة».

«أعدك بذلك» قالت برقة فلوى خصلة من شعرها وجعلها تنظر اليه.

«من الأفضل لك أن تنفذي ما أقوله لك».

«بالطبع» قالت وعيونها متعلقة به.

«حسناً اذن» قال بابتسام: «لدي بعض الوقت أترغبين بإلقاء نظرة على المزرعة؟».

«أحب ذلك».

«لطالما أحببت الأحصنة» أخبرته وهما يسيران معاً: «انه من الروعة تواجدهم بالجوار طوال الوقت».

«أنت تدهشينني» قال وهو يرمق وجهها المتورد: «اذا أردت معرفة الحقيقة كنت أفكر بك كزهرة منزلية».

«بالتأكيد لا» قالت بضحك: «على كل حال ألا تنمو أزهار اللوتس على ضفاف البحيرة؟».

«لنرى من الذي يتكلم؟».

«أنت دعوتني باللوتس؟».

«لون اللوتس الأزرق نفس لون عيونك» أجابها.

حين عادت ساندرينا الى المنزل بعد أن ودعها كالفن وذهب الى عمله رأت ماروشكا وشقيقها مايكل على الشرفة ولاحظت نبرة ماروشكا المعسولة وهي تحادث شقيقها الجذاب.

أسرعت ساندرينا نحو شقيقها وهي تصرخ بسعادة: «أهلاً مايكل».

«مرحباً» قال وهو يعانقها.

«كسب شقيقك لنفسه استراحة طويلة لهذه الأمسية» شرحت ماروشكا بصوت جذاب: «أظنه خطط لخروجكما معاً».

«بأي وقت تشاء مايكل» قالت ساندرينا بسرعة: «سمح لي كالفن بامتطاء احدى أفراسه».

«حقاً؟» رمتها ماروشكا بنظرة حادة: «اذن هذا ما كنت تفعلينه. الله وحده يعرف ما الذي سينتج عن ذلك».

حدق مايكل بها بعيون متقلصة: «ستتدبر أمر ذلك».

«حسناً، حسناً» قالت ماروشكا بضحك: «أنتما سريعا التأثر أستطيع قول ذلك حقاً».

نظر اليها مايكل للحظات ثم عاد بنظره الى شقيقته: «اذا لم يكن هذا يتعبك فبإمكاننا الامتطاء والذهاب الى الدغل. أو قد نأخذ الرانج روفر. اذا رغبت بذلك».

«ماذا يوجد هنا؟» سألت ساندرينا بحماس.

«مناظر طبيعية رائعة» قالت ماروشكا: «كهوف قديمة. لا يسمح للزوار الاقتراب من ذاك المكان من دون اذن خاص من كالفن. فهو مصمم على حماية هذه الآثار وابقائها للأجيال

القادمة».

«نحن بحاجة لشخص كهذا» أوضح مايكل: «يحتوي الشمال هنا على أغنى الآثار والثروات الطبيعية. لربما هناك المئات من الجمالات التي لم يسبق لعين أن رأتها».

«هذا ما يقولونه. ما دمتم ستذهبون الى هناك فلربما علي رؤية تلك الكهوف أنا بدوري».

لم تستطع ساندرينا أن تصدق ما تسمعه، بالطبع ماروشكا لا تقصد الذهاب معهما؟.

برقت عيون مايكل وقال: «على الرحب والسعة. وبهذه الحالة سنحتاج الى وسيلة نقل لائقة».

ضحكت ماروشكا بسحر وقالت: «يسرني انك لم تتوقع مني امتطاء الخيول».

«لربما تسمحين لتمارا بمرافقتنا؟» سألت ساندرينا وهي تشعر أن أمسيتها كلها قد فسدت.

«ولم لا؟» ردت ماروشكا بابتسام: «لكن عليك أن تعرفي منذ الآن انك من سترعاها».

أراهن على ذلك! همست ساندرينا بسرها فماروشكا ستلعب دور المغوية التي تشعر بالملل والتي تتلاعب بمايكل القابل تماماً للإغواء. فعيون مايكل كانت منذ الآن ترمق الشقراء الفاتنة بإعجاب عميق.

«حسناً، أراكم هذه الأمسية اذن» قال وصعد على ظهر حصانه وهو يبتسم مودعاً شقيقته.

«جيد» قالت ماروشكا وهي تبتسم له بدلال.

انطلقوا مساءاً بسيارة الجيب مع ساندرينا وتمارا بالمقعد الخلفي وماروشكا بالمقعد الأمامي قرب مايكل. اتجهوا أولاً نحو المزرعة وحين سألهم مايكل ان كن يرغبن بالنزول قليلاً لمشاهدة عملية حلب الابقار هتفت ماروشكا: «لا شك انك تمزح! من الذي سيرغب بالدخول الى الحظائر حيث القاذورات والروائح النتنة. هذا عمل فظ وهو عمل مختص بالرجال وقد تتسخ ملابسنا من غبار الخيالة حول الحظائر».

«لماذا ألست معتادة على ركوب الخيل؟» سألها مايكل.

«من الذي أعطاك هذه الفكرة؟» سألته وعيونها مختفية تحت نظارات كريستيان ديور الثمينة: «كنت أركب الخيل على الدوام. على المرء أن يتقن ذلك بنوع البلاد هذه لكني لم أحب الخيل فعلاً. السيارات تناسبني أكثر».

«وما هي انجازاتك الأخرى؟» سألها مايكل.

شيء ما بصوته عصى عن فهم ماروشكا لكن يبدو أن ساندرينا فهمته.

لأنها قهقهت قليلاً وقالت: «لربما قد أجد الوقت لإطلاعك على ذلك».

في المقعد الخلفي ضغطت تمارا على يد ساندرينا التي أدركت أن الطفلة ورغم صغر سنها شعرت أن والدتها تقوم بالاغواء المتعمد. لربما تعرف الطفلة ذلك من التجربة فكرت ساندرينا بحزن وأمسكت بيد الطفلة وهي تشعر نفسها

بالاضطراب.

المناظر حولهم كانت فعلاً خلابة وتعكس ريشة الخالق المبدعة برسم الألوان وتناغمها بالأشكال والنباتات التي كانت من كل لون وشكل. مايكل وماروشكا ظلا يثرثران معاً وكأنهما وحدهما بالسيارة فانخرطت ساندرينا وبتعمد مع تمارا بحديث خاص. وهتفت ساندرينا رغماً عنها حين شاهدت العشرات من طيور البجع تطير مبتعدة الى السماء بعد أن انزعجت من صوت محرك السيارة.

«يا له من منظر رائع وساحر».

«أنت فتاة طبيعة بكل معنى الكلمة أليس كذلك؟» علقت ماروشكا: «وأنا كذلك أيضاً».

قالت تمارا بهدوء: «عليك رؤية أزهار البرولغا وهي تؤدي رقصتها الخاصة ساندرينا. هذا منظر فاتن حقاً فشكل الزهرة بديع وتقوم فعلاً بحركات راقصة كالباليه. أزهار الجابيروس تحب الرقص بدورها. بإمكانك رؤيتها على الدوام حول البحيرات».

«علي تخفيف السرعة» أوضح مايكل: «في الواقع السير على الأقدام الى الكهوف سيكون أسهل من استعمال السيارة. لأن الأرض مليئة بالنباتات والأغصان والحفر».

«أحب هذا المكان أكثر من ي مكان آخر في كلها» قالت تمارا لساندرينا بصوت منخفض: «يبدو المكان من هنا كأنه شراع سفينة ضخم».

«اذن فقد زرت المكان من قبل؟» سألت ساندرينا الطفلة.

«أجل مع أبي وعمي كالفن».

كانت الفتاة تذكر والدها بتزايد واضح مرة تلو المرة فنظرت ساندرينا اليها بحب وسألتها: «دوماً؟».

«كلا، مرة واحدة فقط» قالت الطفلة بأسف وهي تحدق بمؤخرة عنق والدتها. كانت الطفلة تشعر بعدم الأمان القاتل وطبيعة والدتها الزجية لم تكن عاملاً مساعداً لتحظى هكذا شعور.

أوقف مايكل الجيب تحت ظلال احدى الاشجار وقال:

«فور تساقط الأمطار لن نتمكن من الوصول الى هنا».

ظلت ماروشكا مكانها بانتظار مساعدة مايكل لها على الترجل من السيارة فيما قفزت ساندرينا وتمارا خارجها.

«صوت الصمت» علقت ساندرينا بانبهار: «بالطبع هذا عالم آخر».

«بعهد جدي لم يكن أحد يأتي الى هنا باستثناء نحن. الريستاو» قالت تمارا بمسحة كبرياء: «هذه كانت ولا تزال أراضي مقدسة. هل تشعرين بالأرواح التي تحرس المكان؟».

«أجل أشعر بذلك» قالت ساندرينا بصدق وهي ترمق بطرف عينها ماروشكا التي لم تتخل عن ذراع مايكل حتى بعد أن نزلت من السيارة وتابعت: «يبدو فعلاً كسفينة ضخمة. يا للغرابة».

«كان هكذا لملايين السنين».

طأطأت ساندرينا برأسها وأمسكت بيد الطفلة ثم سمعت صوت شقيقها.

«هل ستأتيان، ساندرينا؟ تمارا؟».

«نحن بطريقنا» قالت ساندرينا وهي تشعر بالخيبة لأن مايكل اختار تسلق التلة مع ماروشكا وليس معها.

«تعالي سأعلمك» همست تمارا لها بتشجيع: «عليك وضع قدمك هنا هكذا وحاذري من الدوس على هذه النبتة فهي ستسبب لك بالانزلاق».

ولعبت تمارا دور المرشد السياحي بشرح كل ما كان يقابلهما من أزهار وأشكال.

«المنظر مختلف جداً هنا، مختلف تماماً» قالت ساندرينا وكانت قد وصلت وتمارا الى قمة التلة حيث مدخل الكهف الاول.

وصل الآخران بعد لحظات وماروشكا تبتسم ابتسامتها الساحرة وبريق عيون مايكل يعكس اعجابه وولعه الشديد المتزايد.

«أرأيت لم يستغرقنا التسلق كثيراً من الوقت» قال وبالكاد نظر الى شقيقته إلا أنه ربت على يد تمارا بتشجيع وتابع: «لم تخبريني انك متسلقة بارعة وسريعة».

«كلا» ردت تمارا بصرامة.

«حسناً أنت الآن متسلقة متكنمة» قال واقترب من فم الكهف: «لربما علي الدخول قبلكن بحال وجود بعض

الخفافيش والوطاويط».

«أنا متأكدة انني سأكون مسرورة لو فعلت» تمتمت ماروشكا.

بالرغم من التسلق بهذا الحر إلا أنه الماكياج الكثيف الذي كان على وجهها كان لا يزال ثابتاً ومنعشاً. ابتسمت بعذوبة لابنتها لكن لم تتحرك نحوها قيد أنملة. وهكذا ولبقية الأمسية ظلت تمارا وساندرينا معاً.

تنقلوا من مغارة الى أخرى والروعة والغرابة تأخذان من ساندرينا كل مأخذ.

«يعتقد عمي كالفن أن هناك المزيد من المواقع الأثرية في كليتا التي لم يتم اكتشافها بعد» أوضحت تمارا بحماس.

«هذا مذهل بكل معنى الكلمة».

«السواح يأتون الى هنا ضمن مجموعات هذا اذا أعطاهم عمي الاذن بذلك. بعض الاشكال المنحوتة هنا لا تشبه البشر كثيراً وكأنها مخلوقات من الفضاء الخارجي».

«أنا واثقة أن أريك فان داتكن سيرغب برؤيتها» قالت ساندرينا بابتسام.

«أجل أعرف عربات الآلهة» قالت تمارا وأدارت رأسها لدى اقتراب مايكل ووالدتها.

«أقول انكم قد رأيتم ما يكفي» قالت وهي تفك زراً آخر من قميصها: «الرطوبة تزداد» أضافت وخدودها ملتهبة والتعب الشديد بادي عليها وكأن الحيوية كلها قد غادرتها.

«سنعود الآن إن أحببت» قالت ساندرينا.

«لم نشاهد أي شيء بعد» احتجت تمارا.

«نستطيع المجيء مرة أخرى» قالت ساندرينا بلطف حيث تغيرت ملامح تمارا وتقلصت شفاهها الصغيرة.

«تمتعت بهذا ساندرينا؟» سألها مايكل وهو ينظر اليها مباشرة للمرة الاولى.

«أحببت كل لحظة من هذه الرحلة» ردت بصدق: «انه مكان اسطوري».

«شخصياً أجده متعباً قليلاً» قالت ماروشكا: «الحرارة المرتفعة لا تناسبني».

عاد نظر مايكل اليها: «من الأجدر بنا العودة الآن إذن» وتابع بتأكيد: «بإمكاني احضار الفتيات مرة أخرى بالطبع».

لم تجب ماروشكا بل مسدت الغبار عن كم قميصها الحريري الفاخر.

«أليس كذلك ساندرينا؟» سأل مايكل.

«أجل» ردت وهي تبعد نظرها بسرعة لانزعاجها من التوتر الذي كان يغلف صوت شجيها! حدسها أخبرها أن ماروشكا قد تكون امرأة قاسية حتى بحبها.

تركتهم تمارا واتخذت طريقها نزولاً نحو السيارة فأسرعت ساندرينا خلفها والأحجار تتناثر تحت أقدامها تبعاً لدرجة الانحدار الكبيرة للتلة.

«انتظريني تمارا!».

توقفت تمارا فور سماعها للصوت لكنها لم تلتفت.

وصلت ساندرينا اليها وأمسكت بذراعها: «لا تشعري بخيبة الأمل يا حبيبتي. لقد رأيت الكثير من الأشياء الرائعة وبإمكاننا دوماً العودة مجدداً».

لم تعلق تمارا بشيء» وتابعتا الانحدار بصمت حين تدحرجت قطعة صغيرة من الصخر من أعلى التلة واتجهت نحوهما ودون أن تشعرا ضربت الصخرة بقوة ظهر ساندرينا من جهة كتفها الأيسر صوت مايكل المحذر كان يزأر: «ساندرينا انتبهي» لكن الأوان كان قد فات.

سقطت ساندرينا على ركبتيها ويدها على رأسها لتمنع الدوار الذي شعرت به.

«آه، ساندرينا» هتفت تمارا بهلع هائل: «هل تأذيت؟».

لحظات وكان مايكل قربها يحيطها بذراعه: «يا لما حدث! هل أنت بخير ساندرينا؟».

«أجل»، قالت بعد أن زال الدوار واستعادت صفاءها.

«هل هي بخير؟» سألت ماروشكا المنزعجة أكثر منها قلقة.

«أرجوكم» قالت وهي تنهض: «أنا بخير».

«هل أنت متأكدة؟» قال وهو يضع يده على مكان سقوط الصخرة فتأوهت ساندرينا وقالت: «مكان الضربة يؤلمني فقط هذا كل شيء. هيا مايكل لنعد الى الجيب».

ظل مايكل متأبطاً ذراعها طوال رحلة العودة تاركاً ماروشكا تنحدر بمفردها فوق النباتات والاشواك الكثيرة.

«على الأقل لم تمزق الصخرة قميصك» قال مايكل: «من

الأفضل القاء نظرة على كتفك فور عودتنا».

«بدأت أتساءل ان كنت من المندورين للتعرض للإصابات والحوادث» قالت ماروشكا بتقطيب.

«تقع الحوادث دوماً بهذا الطرف من العالم» رد مايكل ببعض الحدة على الفور وتابع طريقه بصمت.

«كيف تشعرين الآن؟» سألتها تمارا بقلق فور جلوسهم داخل السيارة.

«سأتحمل ذلك» قالت وهي تبتسم للطفلة.

أغمضت ساندرينا عيونها فتراءى أمامها ذاك الوجه الساحر وتساءلت كيف بإمكانها لوم مايكل على افتتانه بماروشكا فيما ما تشعر به نحو كالفن ريستاو هو شيء أعمق من الافتتان بكثير؟ يبدو وكأن «كليتا» كانت بانتظار الشقيق والشقيقة معاً. تحملت ساندرينا كل الآلام المبرحة التي كانت تشعر بها بكتفها أثناء تناولها للعشاء برفقة ماروشكا وكالفن. وحين سألها كالفن عما بها سارعت ماروشكا بالاجابة انها تعرضت لسقطة صغيرة وانتهى الموضوع عند هذا الحد.

لكن الآلام لم تسمح لساندرينا بالنوم وتسللت خارج غرفتها بعد ساعات بطريقها الى خزانة الأدوية وأخذت تفتح وتغلق الخزانات بحثاً عن دواء مطهر ما. ولكن المشكلة أن كل الزجاجات كانت مرقمة وفقاً لأرقام ذات دلالات خاصة لم تفقه منها شيئاً.

«كنت أتساءل عن مصدر هذه الأصوات».

قال صوتا خلفها مما جعلها تستدير بذهول وكل ذرة بكيانها ترتعد وسقطت زجاجة الدواء البلاستيكية من يدها فتناولها منها ووضعها على الطاولة.

«أنت متعبة أستطيع رؤية ذلك» قال باختصار: «وأنت تتألمين. عرفت ذلك من طريقة جلوسك على العشاء. انزلي من على الكرسي قبل أن تسقطي». ولم يسمح لها بالنزول بمفردها بل حملها من خصرها وأنزلها على الأرض.

سحب كرسياً وأجلسها عليه قائلاً: «لقد أذيت نفسك، ألم تفعلي؟ عرفت انك لم تخبريني بالحقيقة».

«لا تصر علي» قالت بوهن.

رفع ذقنها بيده وقال: «لا تدعينا نضيع المزيد من الوقت. ما الذي حدث فعلاً هذه الأمسية؟».

«كانت أمسية رائعة» قالت بإشراق.

«ألم ومتعة» قال بجفاف: «لا شك أن الأمر يتعدى كونه مجرد سقطة».

«كنت لأخبرك لكن لم يبدو ذلك مهماً».

«أخبريني الآن» حثها بلطف.

«ضربتني صخرة طائرة» تمتمت بصوت مبحوح.

«اللعنة» قال بغضب.

«بالضبط. لهذا لم أخبرك. أنت تدرك تماماً الآن انني أقع دوماً بالمآزق».

«لا أستطيع مجادلة هذا الأمر الآن» قال وعيونه تدرسانها

بعمق بملامحها المصفرة الشاحبة وجسدها الرقيق: «هل ستطلعيني على مكان الألم؟».

لم تستطع فعل ذلك لشدة خجلها منه ولشدة المشاعر التي كانت تتفجر بداخلها كلما كانت قريبة منه.

نهضت بسرعة وقالت: «لقد خف الألم الآن».

«ساندرينا!» قال وهو يمسك بها بكتفيها تجمعت الدموع بعيونها فوراً من شدة الألم.

«آخ!» هتفت رغماً عنها.

«انه كتفك اذن! أليس كذلك؟ ظهرك؟» قال بحدة وتحرك بسرعة مجرداً اياها من روب النوم السميك.

برقت عيونه حين رأى الاصابة العميقة الزرقاء اللون على كتفها بأكمله.

«صممت الآن على ضربك فعلاً حين تشفين» قال وتنحى بعيداً عنها لاحضار الدواء.

«على الأقل الصخرة لم تكسر العظم» قالت بوهن وعيونها تتحاشاه.

«كلا لكني أراهن أن الألم لا يحتمل. أتسمحين لي؟» قال بلياقة لا داعي لها نظراً لأنه كان سيفعل سواء أسمحت له بذلك أم لا: «هاك، امسكي شعرك» فأمسكت شعرها وأحنت رقبتها قليلاً بخضوع.

حتى لمسته كانت موضوعية، ماهرة ورقيقة. فارتعشت قليلاً لدى ملامسته لنقطة الألم.

«هل يؤلمك هذا؟».

«كلا. لا بأس بذلك».

«أستعمل هذا الدواء على الجروح دوماً. لكن هذه هي المرة الاولى التي أستعمله على امرأة».

رنحها صوته العذب وهو يتابع: «أظن انني سأكمل العلاج مع جرعة أخرى من العصير - فهذا سيساعدك على النوم. تستطيعين التوقف عن الارتعاش الآن» وساعدها برقة لإعادة ارتداء روبها.

«شكراً لك» قالت ورأسها منخفض.

«تقولين ذلك كفتاة صغيرة لطيفة. وفق الاسلوب الفيكتوري» قال بتهكم رقيق: «لون روب نومك جميل».

«أجل... انه كذلك» قالت.

«الشجاعة الألمانية هذا ما تحتاجين اليه» قال وهو يجلسها برفق على الكرسي: «استرخي أيتها الصغيرة. كنت بيضاء كالورقة حين دخلت والآن ها أنت متوردة كالزهرة».

«شيء ما بك هو المسؤول عن هذا التحول» خاطرت بكل شيء وتفوهت بالحقيقة.

«أتظنين انني لا أعرف ذلك؟» قال وهو ينظر اليها دون أي علامة عن الدهشة.

راقبته ساندرينا وهو يسكب لها الشراب وكلها ذهول من مدى تأثيره عليها.

«اشربيه» أمرها.

احتست جرعة صغيرة ونظرت اليه واحتست جرعة أخرى: «انه مر الطعم».

«لم أتوقع منك الاعجاب به. انه لأهداف طبية. أنت بحاجة اليه».

شعرت بالدفء يعتريها كالسحر: «ألهذا يشربونه الناس؟».

«تقصدين انك تشعرين بالدفء داخلك؟».

«أجل».

«هيا حان الوقت للفتيات الصغيرات أمثالك أن يخلدن للفراش» ابتسم لها ومد يده نحوها لكن فور اقترابها منه لم تعد قادرة حتى على الوقوف.

«ساندرينا، هل تشعرين بشيء؟» سألها وهو يرفع رأسها اليه: «ساندرينا» سألها وصوته يتعمق وعيونه تبرق.

كانت تكاد تلتصق به وداهمها شعور لم تعرف كنهه.

«أنت لا تقعين بحبي أليس كذلك؟» سألها وكأن ذلك هو الغباء الأعظم.

«كلا» ردت برقة متناهية: «فقط لا أستطيع الوقوف اذا لم تحملني».

«اذن سأحملك».

«كلا» همست وهي تتعلق به بكل شغف العالم: «أعرف انك لم تصدقني لكني حلمت بك فعلاً حين كنت بالغابة».

«وه. حلمت انني كنت أطارحك الغرام؟» قال ويداه تتحسان وجهه.

«كلا» قالت بنفس متقطع.

«ولم لا؟» سألها بإغواء: «أجدك جميلة جداً. كأنك أكثر الساحرات الصغيرات براءة في الكون».

«توقف عن التحدث الي» توسلته: «قلبي سيصاب بالجنون».

كان هذا جنوناً لكن لم تستطع مطلقاً منع نفسها من قول الحقيقة.

«ما كنت لأفعل هذا ساندرينا لو لم تقومي أنت نفسك بإغوائي».

وجدت نفسها الآن في غرفتها وعلى سريرها وتلك المشاعر ذاتها لا تزال تلتهب داخلها.

«ما الذي حدث؟» سألت وهي تهز رأسها بوهن.

صوته كان عميقاً ومغلفاً بالسخرية الذاتية: «أحياناً يتجاوز الرجل حدوده كما أخشى. انت عذراء بالغة الروعة لدرجة لا تصدق».

«كيف عرفت ذلك؟».

«أنت كذلك» قال وهو يلامس رموشها: «اخلدي للنوم. أعدك انني سأسيطر على نفسي تماماً من الآن فصاعداً».

«ما كان عليك حملي» همست بنعاس وهي تشعر بالنوم يسيطر عليها.

«لم أكن أنوي ذلك» قال: «في الصباح آمل انك لن تكوني متأكدة سواء أكان ما حدث قد حدث فعلاً أم انه فقط أضغاث أحلام؟».

«سأكون متأكدة» قالت بنفس الصوت الحالم الناعس.

نظر اليها للحظات أخرى ثم أطفأ الضوء وتمتم: «أحلاماً سعيدة أيتها الصغيرة».

حين استيقظت لم تكن تشعر لا بالوقت ولا بالمكان. ومرت لحظات طوال قبل أن تعود ذكرى ما حدث الليلة الماضية فتأوهت بعمق هامسة: «كالفن».

نهضت، استحمت ثم ارتدت ملابسها ونزلت الى الفطور والسعادة تبعث داخلها لإدراكها أن كالفن يشعر بالانجذاب نحوها.

كانت ماروشكا هي الجالسة على طاولة الفطور فحيتها ساندرينا وسكبت لنفسها بعض العصير.

«تأخرت جداً بالنهوض» علقت ماروشكا دون أن ترد تحية ساندرينا.

«لقد انغرقت بالنوم» قالت: «هل نمت جيداً؟».

«بمساعدة حبوب النوم خاصتي» ردت ماروشكا بصوت بارد وغير مكترث.

«أين تمارا؟» سألت ساندرينا وهي تشعر بالامتعاض فماروشكا لم تكن رفيقة ممتعة لبنات جنسها.

«وكيف لي أن أعرف؟» ردت ماروشكا بحنق: «أنا بالكاد أرى طفلتي».

«لكنك تعتقدين فعلاً انها تخرج رويداً رويداً من عزلتها أليس كذلك؟».

«لطالما كانت طفلة متوحدة» قالت ماروشكا وعيونها على وجه ساندرينا المشع: «لو كنت أرغب فعلاً بالحصول على طفل لفضلته أن يكون طفلاً ذكراً جميلاً ورائعاً. بدلاً من ذلك تعرضت للخداع وحصلت على تمارا».

«عليك شكر ربك على ذلك» قالت ساندرينا رغماً عنها: «عشرات الآلاف من النساء يتلهفن للحصول على أطفال وتسمين ذلك خداعاً؟».

«أنا واثقة من ذلك» رددت ماروشكا بإصرار: «النوع الامومي الحنون مثلك موجود بكثرة بين النساء. أنتمي الى الفئة الاخرى بدوري».

«وكأنك تعتبرين هذه نقطة كبيرة بصالحك» قالت ساندرينا.

«أجل أفعل» قالت وهي تضحك: «تعرفين بالطبع أن الرجل يريد أكثر من المرأة من مجرد أن تكون أماً لأطفاله».

«يعتبر بعضهم هذا الواجب هو الأكثر قداسة وأهمية».

«أيتها البلهاء الصغيرة» ضحكت مجدداً: «ما الذي تعرفينه أنت عن ذلك على كل حال؟ أراهن انك لم تعرفي الحب ومطارحة الغرام بعد».

«أفضل ذلك. على الأقل إلى أن أتزوج» قالت ساندرينا بثقة.

ظهرت تعابير الاشمئزاز على ملامح ماروشكا وقالت: «تحتفظين بنفسك لشخص واحد أليس كذلك يا عزيزتي؟ يا للتقليدية. فكري بالمتعة التي ستهبيها لذاك الرجل المحظوظ.

عليك عدم فقدان الأمل بكل بساطة». فجأة صارت ماروشكا جدية وتابعت: «لن تنتابك أياً من الأفكار الرومانسية حول كالفن أليس كذلك؟ لأنك وبكل بساطة يا عزيزتي لا تملكين أية فرصة معه. لا يأبه كالفن مطلقاً لعدد القلوب التي يحطمها. أعرف ذلك تماماً ـ فقد حطم لي قلبي. الرجل الوحيد بحياتي الذي أحببته وهزأ بي. انه شيطان قاسي القلب وكنت آمل لو أجد طريقة. أية طريقة لأتوقف عن حبي له».

«يا للغرابة!» قالت ساندرينا: «ليس عليك قول أي شيء لي».

«أظن علي ذلك» قالت ماروشكا بدورها: «وهناك شيء اضافي. أخشى أن علي الاصرار عليك على المغادرة بنهاية هذا الاسبوع. انعمي ببعض الأيام على الشاطىء الذهبي التي دعانا اليها أصدقائنا لكن أفضل ألا تعودي الى هنا معي ومع كالفن».

«بالتأكيد السيد ريستاو هو من عليه اخباري بذلك» قالت ساندرينا والانزعاج يجتاحها ونهضت عن الطاولة.

«تقصدين انك ستنتظرين الى ان يطلب هو منك الرحيل؟» سألت ماروشكا وحاجبها يرتفع: «في الواقع يا عزيزتي، تلك بالذات مهمتي أنا لأنه وعليك معرفة ذلك. لن يفلت كالفن مني هذه المرة. لن يفعل أبداً» توقفت للحظة وعيونها تتقلص وجسدها يلتوي كأنها أفعى خبيثة وتابعت: «لا تهربي! لست عمياء يا عزيزتي. أتظنين انني لا أفهم كل أساليبك الصغيرة الساذجة؟ بتظاهرك بمساعدة تمارا العاجزة الصغيرة فيما انك لن

تفكري بتضييع وقتك دون فائدة ولو للحظة واحدة».

«لا تعتقدي للحظة انني مثلك» قالت ساندرينا بشجاعة كافية: «أحب تمارا كثيراً. كما وأحب كل الأطفال».

«ولا علاقة لكالفن بذلك؟» قالت ماروشكا بشبه انفجار: «نساء أكثر ذكاءاً وقوة منك لم يستطعن أن يلفتن نظره. اسألي ساميا عن ذلك. لا تعتقدي انه يكفي حصولك على جسد صغير جميل وعيون زرقاء واسعة. اللعنة حين كنت بمثل عمرك كنت شعلة من الجمال المتوقد ولم أستطع رغم ذلك الحصول عليه. لم أدرك انني كنت أسير بذلك بالطريق الخاطىء. لكني أكبر وأكثر حكمة الآن. وكذلك هو كالفن. كل ما علي فعله هو المثابرة والإصرار».

«قيل لي انك لم تكوني تحبي زوجك» تمتمت ساندرينا بتصلب.

«كان أحمقاً لعيناً» قالت باحتقار: «تقليد فقير للصورة الحقيقية. وكأنه جعلني أنسى كالفن. أو أي من الآخرين».

«أرجوك» هزت ساندرينا رأسها: «ليس هذا من شأني».

«لكن لا تنسي ذلك» حذرتها ماروشكا بهدوء مميت: «انها كان ما سأفعله فأنا لن أترك كالفن يفلت مني. والتخلص منك هو جزء من عملي هذا».

سارت ساندرينا الى الباب وقالت: «ليس عليك القلق بشأني».

«لست بذاك الجمال يا صغيرتي!» ردت ماروشكا بجفاف

«في الواقع، مقارنة مع الأخريات وهن كثيرات فأنت سهلة جداً. مجرد صغيرة حمقاء تعتقد انها مرغوبة. استمتعي بوقتك في جزيرة باربرا ثم سافري وعودي الى منزلك. لربما قد يكون لك مستقبلاً هناك».

ظلت الكلمات تتردد بعقل ساندرينا طوال ذاك اليوم. وبعد أن أودعت تمارا بسريرها بعد درس سباحة نشيط قررت أخذ الفرس والذهاب بنزهة على المزرعة. والقلق كان يشتعل داخلها وصدى كلمات ماروشكا بداخلها وشعرت أن بالكلمات شيئاً من الحقيقة. فالأسلم لها السفر والابتعاد فهذا أفضل لها وللجميع كما يبدو.

«أيتها الشقيقة الصغرى ما الذي أتى بك الى هنا؟» جاءها صوت شقيقها مع مجموعة من الرجال الجالسين قرب اسطبل الخيول. ابتسمت ساندرينا واقتربت منهم قائلة: «يبدو انني تركت العنان للفرس فسارت من ذاتها الى هذا المكان».

«سأعطي الفرس حبات من السكر» قال ستيف والسعادة تشع من وجهه: «يسرنا تقديم القهوة لك آنسة ساندرينا».

«أجل انزلي وسأحضر لك القهوة على الفور» قال شقيقها ويتعب فعلاً ليحضر لها ما قاله.

كانت تجلس وسط الجميع وهي تشعر ببعض السعادة لتغيير الجو وللجلسة الممتعة. الى أن وصل فجأة صاحب الأرض وتقلصت عيونه فجأة فور رؤيته لها:

«ما الذي أتى بك الى هنا؟» سألها بصوت عملي فيما الرجال

تفكري بتضييع وقتك دون فائدة ولو للحظة واحدة».

«لا تعتقدي للحظة انني مثلك» قالت ساندرينا بشجاعة كافية: «أحب تمارا كثيراً. كما وأحب كل الأطفال».

«ولا علاقة لكالفن بذلك؟» قالت ماروشكا بشبه انفجار: «نساء أكثر ذكاءاً وقوة منك لم يستطعن أن يلفتن نظره. اسألي ساميا عن ذلك. لا تعتقدي انه يكفي حصولك على جسد صغير جميل وعيون زرقاء واسعة. اللعنة حين كنت بمثل عمرك كنت شعلة من الجمال المتوقد ولم أستطع رغم ذلك الحصول عليه. لم أدرك انني كنت أسير بذلك بالطريق الخاطىء. لكني أكبر وأكثر حكمة الآن. وكذلك هو كالفن. كل ما علي فعله هو المثابرة والإصرار».

«قيل لي انك لم تكوني تحبي زوجك» تمتمت ساندرينا بتصلب.

«كان أحمقاً لعيناً» قالت باحتقار: «تقليد فقير للصورة الحقيقية. وكأنه جعلني أنسى كالفن. أو أي من الآخرين».

«أرجوك» هزت ساندرينا رأسها: «ليس هذا من شأني».

«لكن لا تنسي ذلك» حذرتها ماروشكا بهدوء مميت: «مهما كان ما سأفعله فأنا لن أترك كالفن يفلت مني. والتخلص منك هو جزء من عملي هذا».

سارت ساندرينا الى الباب وقالت: «ليس عليك القلق بشأني».

«لست بذاك الجمال يا صغيرتي!» ردت ماروشكا بجفاف

«في الواقع، مقارنة مع الأخريات وهن كثيرات فأنت سهلة جداً. مجرد صغيرة حمقاء تعتقد انها مرغوبة. استمتعي بوقتك في جزيرة باربرا ثم سافري وعودي الى منزلك. لربما قد يكون لك مستقبلاً هناك».

ظلت الكلمات تتردد بعقل ساندرينا طوال ذاك اليوم. وبعد أن أودعت تمارا بسريرها بعد درس سباحة نشيط قررت أخذ الفرس والذهاب بنزهة على المزرعة. والقلق كان يشتعل داخلها وصدى كلمات ماروشكا بداخلها وشعرت أن بالكلمات شيئاً من الحقيقة فالأسلم لها السفر والابتعاد فهذا أفضل لها وللجميع كما يبدو.

«أيتها الشقيقة الصغرى ما الذي أتى بك الى هنا؟» جاءها صوت شقيقها مع مجموعة من الرجال الجالسين قرب اسطبل الخيول. ابتسمت ساندرينا واقتربت منهم قائلة: «يبدو انني تركت العنان للفرس فسارت من ذاتها الى هذا المكان».

«سأعطي الفرس حبات من السكر» قال ستيف والسعادة تشع من وجهه: «يسرنا تقديم القهوة لك آنسة ساندرينا».

«أجل انزلي وسأحضر لك القهوة على الفور» قال شقيقها وذهب فعلاً ليحضر لها ما قاله.

كانت تجلس وسط الجميع وهي تشعر ببعض السعادة لتغيير الجو وللجلسة الممتعة. الى أن وصل فجأة صاحب الأرض فلمعت عيونه فجأة فور رؤيته لها:

«ما الذي أتى بك الى هنا؟» سألها بصوت عملي فيما الرجال

جميعاً يتفرقون كل الى عمله.

«كنت أسير بالفرس من هذه الناحية ورأيت الرجال» قالت ونبضها يتسارع: «لم أستطع رفض فنجاناً من القهوة».

«ولا أستطيع رفض ذلك بدوري. أحضره لي مايكل هلا فعلت؟» قال كالفن وهو ينظر الى شقيقها الشاب.

«بالطبع» أجاب مايكل بحماس وتحرك مبتعداً.

«لم تتوقعي رؤية ستيف بالطبع أليس كذلك».

«ربما توقعت» قالت لسبب تجهله وهي تشعر بالألم والشك. لحظة الجنون التي شعرت بها بحب نحوه قد تبخرت فقد أدركت الآن انه من المستحيل لأية امرأة السيطرة على كالفن ريستاو.

«قالت السيدة ريستاو أن الرحلة الى الشاطىء الذهبي ستكون في الاسبوع القادم؟».

«أجل» قال وهو ينظر اليها: «لا تجعلي الأمر يبدو كأنه شيئاً مجبرة عليه».

«لم أقصد أن يبدو الأمر كذلك» احتجت: «أحب ذلك كثيراً».

«لكنك لست واثقة حول الرفقة» قال.

«آسفة...» قالت بسرعة: «كنتم جميعاً جيدين معي».

«ولن تدعيني أنسى ذلك».

«أنت غاضب» قالت وهي تنظر اليه: «لا أريدك أن تكون كذلك».

«تقصدين انه يحق فقط للمرأة التمتع بمزاج متقلب؟ أنا لا أتغير أيتها الصغيرة. أعرف ما أنا وأعرف ما أريد. ولدي عيون وأعرف ما الذي سيحدث اذا أعطيت ستيف أقل تشجيع ممكن. سينتهي بي الأمر بطرده خارج المزرعة وسيزعج ذلك والده ويجعله حزيناً وهو رجل أحترمه وأقدره».

أغمضت ساندرين عيونها للحظة محاولة السيطرة على ارادتها: «بعد رؤيتي للشاطىء الذهبي أرغب بالعودة الى موطني».

«أليس هذا ما تريدين» قال وهو يجمدها بنظراته العميقة.

«لن تسهل الأمر علي أليس كذلك؟».

«أنت تهربين. لماذا؟».

«اذا بقيت هنا، فسأتسبب لنفسي بالألم والمعاناة».

وصل مايكل بهذه اللحظة فمنع كالفن من الاجابة على ذلك لو كان هناك من واحدة.

«مع الحليب وملعقتين من السكر؟» سأل مايكل وهو يناوله الفنجان.

«هذا جيد» طأطأ رأسه بموافقة: «ابق للحظة مايكل» أمره كالفن بعد أن أخذ مايكل يتجه بعيداً للعودة الى عمله: «أوضح لي جيف انك تعمل بجد واخلاص. في الواقع أخذ يمدحك ويمدح مواهبك المتعددة».

«لم يخبرني بذلك مطلقاً» قال مايكل بابتسام.

«ذاك لم يمنعه من اخباري بذلك. أنت لا تخاف من العمل

ويبدو أن لك غريزة صحيحة مع الأحصنة والماشية. كيف باعتقادك سيكون عملك بجمع الماشية من المراعي؟».

بذهول وامتنان قال مايكل وهو ينظر الى كالفن ريستاو: «كم من رجل سيكون معي؟».

«أربعة وليس أكثر من ذلك. لكنهم من أفضل الرجال لدينا. عليك العمل بجهد وقوة لجمع الماشية من البراري حيث المراعي، معاشك سيكون ممتازاً وسيكون ذلك تدريباً لك وأستطيع لاحقاً أن أوظفك بأي مكان داخل المزرعة اعتماداً على مدى نجاحك بهذه المهمة الاختبارية. اذا لم ترغب بذلك، أو لم تعجبك فكرة العزل، قل ذلك فقط».

«لكن... لكن هذا رائعاً» قال مايكل وعيونه الزرقاء تلمع بشدة فيما قلب ساندرينا يئن.

«آه لا مايكل! عد معي الى المنزل» صاحت رغماً عنها.

«وماذا يوجد هناك لي؟» قال وهو يربت على كتفيها: «استمعي لي ساندرينا. الحياة هنا تلائمني تماماً. بطريقة ما لقد وجدت هنا حياتي وما أريده فعلاً. اذا عملت بجهد كافي فقد أحظى بقطعة أرض خاصة بي. لست بحاجة لامبراطورية فقط قطعة أرض صغيرة تكون ملكاً لي. وأيضاً، كباقي الشباب أنا مستعد للتفكير بمستقبلي العملي. يتحدث جيف معي دوماً وأنا أفهم كل ما يقوله وبسرعة. أحب أن أكون راعي بقر وماشية. يناسبني هذا تماماً».

«حسناً إذن قد لا أراك مجدداً أبداً» قالت ويدها ترتعش وهي

تركز قبعتها

«توقفي عن ذلك. بالطبع ستريني».

«ليس لفترات طويلة من الوقت».

«علي المحاولة ساندرينا» قال وعيونه تتوسلانها لتفهم.

«أعرف، أعرف...» حاولت الابتسام لكنها لم تستطع.

«سأرافقك بطريق العودة» قال كالفن وعيونه على بروفيلها.

«لا تقلقي».

«لنذهب» قال وعيونه تزدادان عمقاً.

«شيء واحد اضافي سيد ريستاو» قال مايكل بتصميم: «أترغب بذهابي معكم الى الشاطىء الذهبي؟ شخصياً أرغب بالذهاب لكني سأترك القرار لك».

«لربما ليس عليك الابتعاد حتى ذلك الحد» علق كالفن بجفاف: «أنا واثق أن شقيقتك ستسر برفقتك، وبهذه الحالة لا مانع لدي».

«شكراً لك» هتف مايكل وعيونه تشعان وودعهم عائداً الى الرجال.

عادا معاً بصمت وخلدت ساندرينا الى سريرها وأفكار شتى تدور بخلدها وقررت أن تترك الأيام تسير بها وفق ما تشاء ولترى بالنهاية ما الذي سيحدث لها.

قمر الليل

الفصل الرابع
زوجة المستقبل

كانت ساندرينا مساء اليوم التالي جالسة في غرفة الجلوس تقرأ مجلة فيما تمارا تنعم بغفوتها. حين لاحظت وجود غيتار خلف الستائر فسارعت بحماس لحبها العميق للموسيقى ونظراً لادراكها انه لا يوجد أي أحد في المنزل فقد أخذت تدندن أغنية تحبها حين رفعت نظرها فوجدت تمارا على عتبة الغرفة والدموع تغسل وجهها.

«تمارا!؟» هتفت ساندرينا وكانت قربها بلحظات: «ما الأمر يا حبيبتي؟ ما بك؟».

«انه... انه...».

«ماذا قولي؟».

«انه غيتار والدي وكان... كان دوماً يعزف عليه».

«لا بأس يا حبيبتي لن أعزف عليه ان ذلك يؤلمك».

«كلا، كلا أحب عزفك وأودك لو تغني لي أغنية أخرى. والدي كان سيعلمني العزف!».

«بإمكاني أن أفعل بدوري ولا شك انك تتمتعين بموهبة فنية ما دام والدك كان ماهراً بالعزف».

«آه ساندرينا سيكون ذاك رائعاً! هيا دعيني أسمع شيئاً الآن».

«حسناً».

أخذت ساندرينا تدندن لحناً معروفاً حين مزق الفضاء صوتاً كالبرق.

«توقفي! توقفي عن ذلك بهذه اللحظة» صاحت ماروشكا وشيء كالبركان يلمع داخل عيونها.

«سيدة ريستاو» تمتمت ساندرينا بذهول وقفزت تمارا فوراً الى قرب ساندرينا.

«كيف تجرؤين على استعمال غيتار زوجي من غير اذني» زعقت ماروشكا كلبؤة حانقة.

«آسفة اذا كنت قد أقلقتك» اعتذرت ساندرينا وهي تفكر كم أن هذا سيئاً لتمارا.

انتزعت ماروشكا الغيتار من يد ساندرينا كأنها على وشك ان تقطعه ارباً.

«من أين حظيت بهذا؟».

«وجدته هناك خلف الستائر» ردت ساندرينا بتصلب: «لم أعرف انه يخص السيد ريستاو الصغير وأن علي طلب الاذن بذلك».

«تعالي الى هنا تمارا» أمرت ماروشكا بصوت صاعق.

«فقط لو تهدأين سيدة ريستاو» قالت ساندرينا وهي ترمي ماروشكا بنظرة متوسلة وتمارا ترتعش بشدة قربها.

«قلت تعالي الى هنا تمارا» رددت ماروشكا بحنق متفجر.

«كلا» هتفت تمارا بصوت منخفض.

«ماذا تحاولين أن تفعلي تجعلينني أخسر ابنتي؟» هتفت وانتزعت الطفلة من بين ذراعي ساندرينا: «حان الوقت لك للرحيل آنسة. أنت صاحبة تأثير سلبي تماماً داخل هذا المنزل».

«هذا ما يبدو» ردت ساندرينا وهي تدرك انها مهزومة. تحركت لتترك الغرفة والاكتئاب يعتريها كلياً لما يحدث لتمارا الصغيرة حين صاحت تمارا ببكاء وأخذت تقاوم قبضة والدتها وتضرب بيديها وقدميها للتخلص منها.

«أوقفي ذلك! أوقفي ذلك الآن!» أمرت ماروشكا بصوت كالفحيح لكن تابعت تمارا محاولاتها وقد فقدت السيطرة الكاملة على أعصابها.

«بحق السماء» صاح كالفن ريستاو وهو يدخل الى الغرفة وأمسك تمارا من كتفيها وأدارها لتواجهه: «لماذا بحق السماء تصرخين؟».

«أخبريه» أمرت ماروشكا ساندرينا وتهالكت على الكرسي بتظاهر.

«ما الذي يحدث هنا؟» قال كالفن وهو لا يزال يمسك بالطفلة المنتحبة: «حسناً، ساندرينا؟».

أخذت نفساً عميقاً وقالت بصوت مرتعش: «أخشى انني أثرت انزعاج السيدة ريستاو ودون قصد مني وجدت هذا الغيتار، كما ترى، وبما انني أحب الموسيقى فقد أخذت أعزف عليه».

«وماذا أيضاً؟» قال وهو يبدو قاسياً ومتباعداً.

«أشباح!» صاحت ماروشكا وأخذت تشهق بالبكاء.

«لا أؤمن بالأشباح» قال بصرامة.

«يا الهي!» قالت وهي تمسك برأسها الجميل بين يديها.

«وماذا عن تمارا؟» حثها لتتابع.

«أحبت تمارا ذلك» ردت بهدوء.

«آه» قال وتناول الغيتار ووضعه على الكنبة. تمارا كانت تشهق ببكاء صامت وأراحت رأسها على كتفه.

«أنت غاضبة منا جميعاً أليس كذلك يا طفلتي؟ غاضبة من الجميع إلا من ساندرينا».

«آه عمي كالفن، كان ذاك مريعاً» قالت وهي تنظر اليه: «عدني انك لن ترسلها بعيداً. انها صديقتي الوحيدة».

«كلا انها ليست كذلك» رد بصرامة: «أنا أحبك تماماً كما كنت دوماً وأنا هنا. والدتك تحبك بدورها. لا تريد أن تصرخ

عليك أو أن تصرخي عليها، لكن كل واحدة منكن وبطريقتها الخاصة قد تعرضت للأذى؛ عليكم تعلم التفاهم مع بعضكما البعض».

ارتعشت تمارا وقالت: «اذا أرسلت ساندرينا بعيداً فسأموت».

«لن تموتي» قال: «أنت من آل ريستاو. أنت قادرة على التغلب على كل المصاعب. تستطيعين تدبر أمورك لو أردت. ما تكنينه من شعور لساندرينا شيء رائع لكنك لا تحتاجين اليها. لديك نفسك. قد تكونين أي شيء. كنت أشعر وكأنني ممزق من الداخل حين كنت بمثل عمرك وحتى حين كنت أكبر سناً منك، لكنني لا أزال هنا. لقد تمكنت من تدبر أموري. بدأت أقرأ المجلات وتعرفت على حياة الأطفال الآخرين. هناك الكثير من النعم التي لا تشعرين بها حولك».

«أعرف» أحاطت تمارا فجأة بعنق عمها وقبلته: «أحب حين تتحدث الي».

«اذن سنفعل ذلك دوماً!» قال وهو ينظر الى وجهها الصغير: «أتعرفين تمارا انك طفلة قوية، أنت ريستاو حقيقية!».

«حقاً؟» سألت بغبطة.

«صدقي ذلك يا حبيبتي، سأخبرك دوماً بالحقيقة» قال وهو ينزلها الى الأرض لكنه ظل يمسك بيدها: «اذهبي مع ساندرينا الآن فيما أتكلم أنا مع والدتك».

«يا اله السماوات» قالت وهي تهز رأسها بشكل مسرحي:

«الشفقة كالفن؟ أنت تشفق علي. لا أستطيع تحمل ذلك» بتلك اللحظة وفيما هو ينظر اليها لم تكن نظراته عاطفية أو رقيقة بل كانت قوية وقاسية: «ساندرينا خذي تمارا أرجوك... الآن».

تحركت ساندرينا بإطاعة فيما عيون ماروشكا تعكسان الحقد الصافي وخرجت مع الطفلة مدركة أن العاصفة هي داخل المنزل وليس خارجه.

لم تشاركهم ماروشكا العشاء تلك الليلة وغادرت ساندرينا الى الحديقة لتحاول أن تخفف قليلاً مما يثور بداخلها. وكانت الحديقة قد اغتسلت تماماً بعد العاصفة التي هبت بعد العشاء.

«ماذا تفعلين هنا أيتها الصغيرة؟».

كان خلفها قبل أن تدرك ذلك ووصل صوته اليها عبر الظلام.

«لا شيء» قالت وهي ترميه بنظرة سريعة: «فقط سعيدة بالتجول تحت أشعة القمر».

«حقاً؟ لم أظنك بمزاج مبتهج. كيف كتفك الآن؟».

«أحسن بكثير» قالت وهي تستدير لتواجهه: «أنت أكثر من مجرد بارون ماشية. بل شافي أيضاً».

«ظننتك تعامليني كأنني أحمل دوماً سيف التهديد. ما رأيك بذلك؟».

«أظن ان بإمكانك تعليمي درساً» قالت بجدية.

«وتريدين الانسحاب؟».

«لا أظنني قادرة أبداً على مجاراتك».

«لا تكوني جدية جداً هكذا» قال وهو يمسك يدها ويرفعها الى فمه.

«أرجوك» قالت وهي تشعر باليأس الكامل.

«توقفي عن ذلك» قال بجفاف: «أنا لا أهاجم الفتيات الصغيرات ولا حتى الفتيات الكبار».

«لن يكون عليك ذلك» ردت بوهن: «لا أعرف ما الذي يحدث، لكنك تجعلني أشعر انني بلهاء وحمقاء».

«أي شيء آخر؟» قال وهو يتكىء على الحائط وينظر الى الحديقة.

«العديد، العديد من الأشياء الأخرى» حاولت أن تتكلم بصوت هادىء.

«من المؤسف انك لن تخبريني».

«لن أنسى كلينا أبداً» قالت واستدارت لتقف قربه.

«كلا لن تفعلي» قال وهو ينظر اليها للحظة: «يبدو أن شقيقك يود أن يزرع جذوره هنا. أو بهذا الجزء من الأرض».

«كان مايكل دوماً محباً للاستقرار» قالت.

«وتظنين هذه مجرد مرحلة انتقالية».

«أنت تسخر مني. لا تنكر ذلك» قالت بصوت هامس.

«اذن آمل أن تسامحيني» رد باختصار: «يستحق شقيقك فرصة ويسرني وجوده هنا بهذا الوقت. ستتمكن جميعاً من تقييمه بشكل أفضل بظرف ٦ أشهر من الآن».

«وسأكون أنا على بعد ٢٠٠٠ ميل من هنا».

«لا تستطيعين مشاركة شقيقك هذه الحياة أتعرفين. ستكون لك حياتك الخاصة».

«تظن انني أبالغ؟».

«لاحظت انك وشقيقك على علاقة وثيقة جداً. يجعلني هذا أتساءل حول طفولتكما. لا شك انك كنت فتاة صغيرة متوحدة».

«كنت آمل لو كان الأمر مختلفاً» قالت: «الوضع بالغ الهدوء الآن، مسالم جداً».

«لنسير قليلاً في الحديقة» قال وهو ينظر اليها.

«أنا...» بدأت.

«لا يدور بخلدي أية فكرة اغواء» قال بجفاف: «ولا تنكري الأفكار التي تدور برأسك».

«تتناسب الأفكار مع هذه المقاطعة» قالت بابتسام.

«اذن كوني شجاعة» قال وعيونه تحدقان بها بسخرية واعجاب. وحين مد يده اليها مدت يدها ونظرت الى أصابعهما المشتبكة وأخذت رويداً رويداً تسأله عن المزرعة وعاداتهم وطباعهم ثم استمعت له بعناية الى أن نظر اليها أخيراً وقال:

«كيف تنجحين دوماً بجعلي أتحدث بالأشياء التي لا أقولها لمعظم الاشخاص؟».

«لربما كما يقولون... السفن التي تسير بالليل».

«أفضل لو تبقين» قال.

«لكنك قلت بنفسك انه لا حاجة لي هنا».

«بالطبع. قلت ذلك لتمارا. الحقيقة أن تأثيرك عليها هائل. على الأقل ابقي هنا الى أن تعود الى المدرسة».

«هذا غير ممكن».

«ألا تستطيعين تدبر الوقت لذلك؟».

الكبرياء بصوته جعلها تجيب دون أن تشعر: «هذا غير منصف! تعرف انني لا أستطيع البقاء».

«أستشعرين بشكل أفضل لو حددت لك معاشاً شهرياً؟» سألها: «من الواضح انك لا تحبذين فكرة أن تكوني ضيفتي».

«أرجوك استمع لي» قالت بنفس لاهث لعودة العدائية الى صوته: «مهما كان مقدار مساعدتي لتمارا فالسيدة ريستاو لا تكترث لأمري. تمارا تنظر الي وكأنني والدتها والسيدة ريستاو تكره ذلك بالطبع. لقد أظهرت ذلك بوضوح».

«فهمت» قال: «أريدك فقط أن تساعدي تمارا. اتركي أمر ماروشكا لي».

«هذا طبيعي!» قالت مبتعدة بنفاذ صبر.

«ماذا يعني ذلك؟» قال ممسكاً برسغها ومديراً اياها نحوه.

«لقد سمعت...» بدأت.

«ماذا؟» صاح وبرقت عيونه.

«ليس هذا من شأني» حاولت الابتعاد عنه لكن هذا كان مستحيلاً.

«كما أرى فأنت تستمعين للأقاويل».

«لي عيون» قالت بطيش.

«اللعنة لك عيون بالطبع يا زرقاء العيون».

أمسك بها بين ذراعيه ورفع رأسها نحوه: «انطقي بالكلمة ساندرينا. يبدو ان الأقاويل تزعجك».

«كلا، كلا! ماذا يهمني هذا؟».

«سأقول أن هذا يؤلمك. أفكر بماروشكا كزوجة شقيقي الميت فقط».

«لا تقل لي».

«أود لو أصفعك» قال بصوت قاسي: «فقط كيف تقيمينني كإنسان».

«أريد الهروب منك» قالت بارتعاش.

«لأنك خائفة وتشعرين بالغيرة».

«كلا» همست والعذاب يجتاحها.

«مهما كان ما تفكرين به فأنت مخطئة تماماً».

«أخبرتك لا أريد أن أعرف» صاحت بقوة.

«لكنك تريدين أن تدينيني» رد بقسوة: «ما المفترض بي أن أفعل الآن. أتابع التمرين؟».

شدها اليه بقوة وعنف مفجراً كل ما بداخلها من أحاسيس دفينة ولم تشعر إلا وتجاوبها غصباً عنها يذوب.

«تفعلين ذلك عن تعمد أليس كذلك؟» قال بصوت عميق لم تسمعه من قبل: «فقط حين أقرر انك طفلة بحاجة للحماية تظهرين لي انك امرأة أكثر النساء اثارة على الاطلاق واعدة إياي بمباهج لا تخطر لي على بال».

«ولا تستطيع تحمل ذلك أليس كذلك؟» قالت بهمس وهي ترفع رأسها نحوه: «تحب أن تسير لوحدك كالنمر».

«لكن حتى النمر بحاجة لشريك» قال بتصميم: «عندي مسؤولية لا أستطيع نكرانها. أنا بحاجة لوريث».

«وستطلب زوجة كما تطلب أي قطعة أثاث جديدة» قالت بسخرية جديدة العهد عليها.

«لأكون صريحاً تماماً أيتها الصغيرة فقد اخترتها وانتهيت».

«امرأة مناسبة جداً لك؟».

«بالطبع» قال مداعباً خصلات شعرها: «أظن عليك البقاء ومقابلتها».

«أبداً!» قالت رافعة يدها باحتجاج: «بالوقت الذي تظهر به سأكون بعيدة مئات الأميال من هنا».

«على العكس، ستكونين على الجزيرة».

منعت الدموع التي تجمعت بعيونها الرؤية وابتعدت عنه لخطوات.

«الأشياء لا تؤلمك أليس كذلك؟ أنت ثري ولك السلطة وأنت مشهور وهكذا. استغرب انك تضيع لحظة من وقتك الثمين علي أنا».

«على أحدهم أن ينقذ حياتك» قال بتباعد كامل: «الحياة دغل بدورها ساندرينا. أريدك أن تكوني قوية كفاية لتتمكني من العيش».

قبل أن يتوقف عن الكلام كانت تركض وتركض بعيداً وظهر

فجأة أمامها طير ضخم يسد عليها الطريق.

«ابتعد! آه. ابتعد».

«ما الأمر الآن بحق الجحيم؟» أمسك بها مجدداً.

«طائر ضخم».

ضحك وكأنه مستمتعاً: «دعيني أبعده قبل أن تصابين بانهيار عصبي».

«أيها المتوحش» صاحت رغماً عنها وهي تشاهده يركل الطائر الذي قفز بعيداً بالظلام.

«هيا» قال: «لندخل حتى أعطيك حبة اسبرين».

«تجدني تافهة وبلهاء أليس كذلك؟».

طأطأ برأسه وابتسم ثم تأبط ذراعها وتابع: «لكن لديك الكثير لتشكري نعمة الخالق عليك».

«لو لم أكن حمقاء لهذه الدرجة» قالت وهي تدرك تماماً أن ما تقوله صحيحاً نظراً لأنها تعرف الآن وبثقة انها تحبه بجنون وبيأس لأنه لا يكترث لها ويفكر بعقلانية بالزواج من امرأة حتى ماروشكا لا تعرف عنها شيئاً بعد، حتى الآن.

انطلقوا صباح اليوم التالي جميعاً الى الشاطىء الذهبي، ولن تنسى ساندرينا ما حيث روعة ومدى سحر هذا الشاطىء الخرافي. كانت تقف وتمارا الى جانبها تحدقان بالشاطىء الفيروزي بمياهه البراقة وأمواجه الناصعة من على سطح قارب كالفن الذي يشق عباب البحر الهادىء.

«يقع الفندق الرئيسي هناك» أوضحت تمارا بحماس: «قاعة

الاستقبال وغرفة الطعام الضخمة وذاك البناء الأبيض الظاهر بين أشجار النخيل هو البناء الحديث الفاخر للفندق. أحب البقاء طوال حياتي بواحدة من تلك الشقق الفاخرة الثراء، ألن تحبي ذلك بدورك ساندرينا؟».

«أجل. تبدو رائعة».

برقت عيون تمارا بسعادة ولم تكن تدرك أن والدتها أرادت تركها في «كليتا» بعهدة مدبرة المنزل إلا أن كالفن أصر مع كل امتنان ساندرينا على اصطحاب الطفلة معهم.

«كيف نصل الى هناك؟» سألت ساندرينا وهي تشير الى اليابسة المقابلة.

«سيأتي أحدهم ويصطحبنا الى هناك. شخص ما من الفندق» أوضحت تمارا: «القارب هناك يسمى أميرة البحر. ينقلون به السواح من المدينة حيث يقدمون غداء فاخراً ويقومون بجولة حول الجزيرة لشراء الأشياء التقليدية والفولوكلورية ثم يعود مساء الى الفندق. عمي كالفن قبطاناً ماهراً أليس كذلك؟».

«ماهر بكل شيء» تمتمت ساندرينا بصدق وتابعت: «المياه ساحرة وفيروزية بدرجة لم أشاهدها من قبل».

«أتعتقدين أن بإمكاننا السباحة من هنا حتى شاطىء الجزيرة ذاك؟» سألت تمارا.

«أجل نستطيع» قالت ساندرينا وحماس مفاجىء ألهب دماءها.

«أنا لا أستطيع بالتأكيد لكنك قد تتمكنين من ذلك بسهولة

على ما أظن».

«لم لا نجرب ذلك» هتفت ساندرينا وعيونها تبرق ولدهشة تمارا خلعت ساندرينا حذاءها ولحظات وكانت في الماء بشورتها القصير وبلوزتها القطنية السوداء.

«عمي كالفن» نادت تمارا بغبطة وذهول: «حضر الجميع الى السطح وأخذت ساندرينا تلوح لهم وتابعت سباحتها الى الشاطىء. لم يسبق لها أن تصرفت برعونة واندفاع هكذا لكن الجو الساحر حولها جعلها تفعل ذلك عن كل طيبة خاطر.

اقترب القارب منها بعد دقائق معدودة وسمعت صوت كالفن يقول: «هل اكتفيت؟».

«كلا» قالت وهي تشعر فعلاً بسعادة عارمة بالسباحة.

«هيا ساندرينا» حثها مايكل: «لم أشاهد شيئاً مضحكاً كهذا بحياتي».

«أقول لكم انني بخير تماماً» قالت وهي تدير وجهها للشمس. كانت تمارا تضحك وتصفق بمرح.

«ستكونين حمقاء كبيرة لو هاجمتك أياً من أسماك القرش» قالت ماروشكا ببرود البادية الملل.

«لم تدخل أسماك القرش أبداً الى البحيرة» قال لها كالفن بنبرة قاسية ثم استدار مجدداً الى ساندرينا متابعاً: «هيا يا زرقاء العينين أتريدينني أن أسحبك الى السطح؟».

«أريدك أن تبتعد وتتركني. أستطيع الوصول الى الشاطىء بسهولة».

«برافو!» صفقت تمارا وهي تبتسم: «هذا ممتعاً أليس كذلك مايكل؟».

«حسناً ما دمت تريدين التصرف كالأطفال فالأفضل لي الانضمام لك».

«لكن يا الهي كالفن» بدأت ماروشكا إلا أن كالفن كان بالمياه برفقة ساندرينا الآن.

صفقت تمارا بسعادة فيما أخذ قاربهم يتابع سيره بعيداً نحو الشاطىء.

«أتتسابق أم نأخذ وقتنا بالسباحة؟» قال بابتسام وعيونه تبرقان.

«لا يوجد خطر حقيقي من القرش، صحيح؟» قالت وعيونها تنظر اليه.

«كان عليك التفكير بذلك قبل أن تقفزي عن السطح» مد ذراعه فجأة وجذبها اليه مقبلاً جبينها المبلل.

«يا لجرأتك» هتفت بأنفاس متقطعة.

«لم يكن عليك القيام بأشياء غير متوقعة. من السهل جداً مطارحتك الغرام».

«ألم تقل انك ستقابل زوجة ـ المستقبل على جزيرة الشاطىء الذهبي؟».

«هذا صحيح» رد ببرود: «لا تعتقدي للحظة انني كالمعجبين الآخرين بك. أنا مختلف تماماً».

«كأنني لا أعرف ذلك» وتابعت لنفسها: «لا شك انه يضحك

علي الآن» لكنها لم تنتظر لتعرف ذلك فقد سارعت بالسباحة بعيداً عنه نحو الشاطىء.

«انتظري دعيني أسبح بك نحو الشاطىء فأنت بادية الارهاق منذ الآن».

حاولت المقاومة أولاً لكنها عادت ووافقت فهي كانت تشعر بالتعب فعلاً وأرادت أن تكون ذراعه حولها فوافقت وحين اقتربا من الشاطىء تركها وقال:

«قولي لي انك سعيدة لأنني انضممت اليك».

«لا أستطيع إلا أن أوافق. فالمسافة أبعد بكثير عما اعتقدت».

«تعرفين أن كل من على الشاطىء ينظر الينا؟».

«أجل أرى ذلك» قالت وهي تنظر الى كل نزلاء الشاطىء المركزة أبصارهم عليهما: «لنأمل أن حبيبتك ليست موجودة بينهم».

«اللعنة على وقاحتك» قال وبريق لحظي يظهر بأعماق عيونه قبل أن يحملها دون سابق انذار ويسير بها عبر المياه الضحلة نحو الرمال فيما الجمهور المراقب يصيح بتشجيع.

«أنزلني».

«آسف» قال بابتسام: «أنت أسيرتي».

«وأنت قرصان ماهر» قالت ورغبة جامحة تسكنها نحوه: «أرجوك كالفن».

«هذه هي المرة الاولى التي تنطقين بها باسمي» قال وعيونه

على وجهها المتوهج: «طوال الوقت أنا السيد ريستاو أو لا شيء».

«أنا خجلة».

«أنت مغيظة» قال بلمسة إثارة بصوته كانت كافية لساندرينا. التي احتجت فتابع: «حسناً لا ترتعبي. أنت آمنة الآن».

«نسيني الأمان منذ اللحظة التي وجدتني بها».

ضحك ولوح لمجموعة الشاطىء التي كانت تصفق لهما: «ها قد وصل «بن» لا تنسي أن تبتسمي».

أسرع بن نحوهما وقال: «كان هذا وصولاً رائعاً. ظننت انني كنت سأموت من الضحك» ونظر الى ساندرينا بإعجاب: «أهلاً بك على جزيرة الشاطىء الذهبي ساندرينا. أعتقدك استمتعت بالسباحة؟».

«لقد فعلت، كانت ممتعة مع كل هذه المياه الفيروزية البراقة».

«ولديك أياماً طويلة للاستمتاع بها».

«شكراً. كان لطفاً منك دعوتي».

«هذا من دواعي سرورنا» قال بصدق: «أتمانعين لو قلت لك مديحاً؟».

«أرجوك افعل» قالت بابتسام.

«أنت جميلة جداً».

«مسموح فقط مديح واحد» قال كالفن وهو يبتسم لصديقه.

«تستطيع أن ترى اننا مبللان تماماً».

«وأفضل الغرف لدي تحت تصرفكما» قال بن: «وهل يقع علي اللوم اذا ما نظرت الى الفتيات الجميلات الشابات؟».

توهج وجه ساندرينا بخجل وقالت: «لم أعتقد للحظة وأنا أغطس بالمياه انني أعقد الأشياء. الماء تقطر مني وستترك أثراً خلفي كيفما أسير كعروسة البحر».

«لا تقلقي» قال بن بابتسام: «هناك مدخلاً خارجياً للغرف حتى يتمكن نزلائها الصعود اليها مباشرة من البحر».

«المكان خلاب» قالت ساندرينا وهي تسير بين الرجلين نحو الشقق الفاخرة التي كانت تمثل كل ما يتصوره المرء بالأحلام عن جنة صغيرة قرب شاطىء البحر.

«ها نحن الآن» قال بن وهم يصعدون المصعد الى الطابق الثالث: «اخترت لكم هذا الطابق لأنه الأجمل جميعهم بالداخل الآن».

«رائع» قال كالفن وهو ينظر اليها: «شعرك يجف بشكل لولبي».

«وشعرك بدوره» قالت بخجل.

«انه متوحش وسيم»، هتف بن بمرح: «أليس كذلك! وهو وحده الذي أحسده من بين كل الرجال. ولد ثرياً ويتمتع بكل ما حوله».

ابتسم كالفن بعدم اهتمام ولم يعلق.

فتح باب المصعد وكانت تمارا هي أول من قفز اليهم وأحاطت خصر عمها بيديها وهتفت: «أليس هذا رائعاً؟».

«انه كذلك» وافقها عمها وأمسك بيدها.

ظهرت ماروشكا بعد لحظات وهي تنادي لطفلتها التي أجابت.

«أنا هنا ماما» وكانت ماروشكا ترتدي تنورة بحر سوداء مع بلوزة سباحة قطنية مشجرة رائعة.

«اذن فقد وصلتما أخيراً. من الأفضل لكما تجفيف نفسيكما كبداية».

«هذه هي الفكرة» رد كالفن برقة وسار بهم خلف «بن» الذي كان يفتح الابواب.

«أنت هنا ساندرينا».

«رائع! أنا فقط لا أعرف كيف أشكرك».

«اكتفي فقط بإعطائنا تلك الابتسامة الساحرة. كالفن. غرفتك على الطرف الأخير. ارتاحوا الآن وسألاقيكم على الغداء».

دخلت ساندرينا غرفتها وتبعتها ماروشكا وتمارا.

«أكان من الضروري أن تجعلي وصولك شيئاً يحكى عنه؟» سألت ماروشكا ببرود.

«كان ذلك تصرفاً غبياً بعض الشيء» علقت ساندرينا بابتسام: «اعذريني الآن فأرغب بتغيير ملابسي».

«أجل فمنظرك بهذه الثياب...» ثم تابعت: «أود لو أطلب منك خدمة هلا سمحت لتمارا البقاء معك فأنا نومي خفيف وهي كثيرة التقلب أثناء نومها؟».

«لا بأس ما دام لا مانع لدى تمارا، أجل تمارا؟».

«لا بأس مع اني كنت أرغب النزول بالفندق نفسه لكن المكان هنا أجمل وأقرب للشاطىء».

«هيا لنخرج تمارا ودعي ساندرينا ترتدي ملابسها».

كان اليوم رائعاً انخرطت تمارا فوراً مع طفلتين بمثل عمرها ورافقوا ساندرينا التي كان مرحها وطبيعتها تجعلها ممتعة لصحبة الصغار والكبار على حد سواء.

ماروشكا ومايكل بدورهما كانا معاً طوال الوقت وكالفن كان مشغولاً طوال النهار مع «بن» بالتجول على الجزيرة ورؤية الأبنية الحديثة. في المساء كان هناك حفلة رائعة وارتدت ساندرينا لذلك ثوباً رائعاً من الحرير العسلي المنسدل برقة على جسدها المتناسق مظهراً كتفيها وارتدت عليه الحلي المناسبة.

«أنت جميلة جداً ساندرينا» همست تمارا من على سريرها وهي تستعد للنوم.

«شكراً لك تمارا» قالت ساندرينا وهي تقبل الفتاة: «عليك النوم الآن».

«أجل لأن تالي وزوجان ستنتظراني صباحاً للذهاب للسباحة واتفقنا على تناول الفطور على الشاطىء وسينضم الينا عمي كالفن بدوره».

«هذا رائع تمارا انهما صديقتان جذابتان».

«أجل وأنا أستمتع برفقتهما».

«ولا شك انهما تستمتعان برفقتك بدورهما».

«أجل. هذا ما أظنه» ردت تمارا بابتسامة قبل أن تتابع:

«تصبحين على خير واستمتعي بسهرتك».

السهرة كانت فعلاً ممتعة فقد انضموا الى طاولة بن وساميا ودارت الأحاديث الممتعة بينهم ولكن قلق ساندرينا كان يتزايد نظراً لإدراكها الواضح أن ماروشكا كانت تستغل شقيقها لإثارة غيرة كالفن وخشيت أن يكون ثمن ذلك تحطم قلب شقيقها.

وقد ألمح بن بذلك حين ذهب مايكل وماروشكا، ساميا وكالفن للرقص لكنه أكد لساندرينا أن ماروشكا لم تكن يوماً ولن تكون ما يريده كالفن في المرأة.

«لكنها جميلة جداً».

«أجل لكنها متكبرة باردة ومتصنعة أيضاً» رد بن: «كالفن لن يغرم أبداً بامرأة مثلها وقد دعاها الى كليتنا. فقط من أجل الطفلة».

«لكنه لا يقصد الحب حين يريد أن يتزوج ويبدو انه قد حدد زوجة المستقبل خاصته وقد أخبرني بذلك فعلاً».

ابتسم بن وقال: «حقاً؟ وتظنين انه سيتزوج دون أن يقع بحب زوجته كلا! أنت لا تعرفينه كما يبدو انه شخص عاطفي جداً رغم انه يخفي ذلك بمهارة».

عادوا من الرقص وحين طلب منها كالفن لاحقاً للرقص احتجت بالتعب ورفضت طلبه برقة ونعومة.

انتهت السهرة في القاعة واقترحت ماروشكا أن يتابعا السهرة في قاعة الرقص. لكن الجميع لم يوافقها على ذلك حتى مايكل لكنها أمسكت بذراعه بدلال وقالت:

«لا أصدق انك ترغب بالنوم باكراً هكذا».

«كلا. كلا» هتف فوراً مبدلاً رأيه وناظراً الى الآخرين.

«اذن تعال معي، كل ما أريده هو رجل واحد ويبدو كالفن غير راغب بذلك».

«الامر بسيط جداً» قال كالفن: «أريد النهوض باكراً لأنني وعدت تمارا وصديقاتها بالسباحة معهم باكراً».

ظهر الاحتقار على ملامح ماروشكا وقالت: «أراهن انك تستيقظ مع الفجر طوال حياتك».

ظهر الارتباك قليلاً على ساميا التي قبلت ساندرينا وقالت: «تصبحين على خير أراك في الصباح».

«تصبحين على خير ساميا كانت هذه أمسية رائعة».

«حسناً مايكل لنذهب الآن» قالت ماروشكا وسارت مع مايكل فيما غادرت ساندرينا برفقة كالفن.

«اذا كنت متعبة حقاً أترغبين بأن أحملك وأنقلك الى المنزل؟» سألها.

«حسناً» قالت ببعض الغضب: «لقد ربيت بشكل لائق. قلت لي بنفسك انك وجدت المرأة التي تبحث عنها».

«لن أجيبك على ذلك الآن» رد ببرود: «لم أدرك انك ساحرة صغيرة مغوية هكذا ـ مرت أوقات هذه الليلة رغبت بها بخنقك والتخلص منك».

«النكتة ليست مضحكة» قالت بجرأة ثم التفتت حولها قائلة: «الى أين نذهب؟».

«ليس للدمار كما تظنين كما يبدو».

«أرجوك كالفن!» قالت والإثارة تسكنها مجدداً: «أريد الذهاب الى غرفتي لا الى نزهة».

«اصمتي!» قال: «هواء الليل سيجعلك تهدأين».

النسيم الرائع كان حولهما معطراً برائحة البحر والغاردينيا وضوء القمر يسبغ الفضاء بلون الفضة. الجو الرومانسي كان يضغط على هدوء ساندرينا نظراً لأن كالفن البارد الذي لن يحبها أبداً قربها مع كل حبها الهائل واليائس له.

لو لمسها الآن لأدرك انها بلا مقاومة. بلا دفاع، بلا حكمة فهي تعرف فقط ما هو موجود داخل قلبها.

مد يده اليها فابتعدت عنه وركضت نحو الحافة الصخرية حيث انتزعت طوق الغاردينيا من حول رقبتها ورمته بالبحر.

«ساندرينا!» قال وذراعه حولها تبعدها عن الحافة الخطرة: «ظننتك سترمين بنفسك».

«وهل كنت ستلحق بي؟» قالت والدموع تكاد تنحدر من عيونها ليأسها وقررت أن تغادر في الغد تماماً لأنها لن تتمكن من تحمل عذابها الهائل هذا بحبه اليائس فيما هو لا يكترث لها.

«لحقت بك حتى الآن!» قال بصوت قاسي: «أحياناً أظنك لا تفكرين بنتائج أعمالك وتصرفاتك».

«فقط معك لأنك قوي جداً» قالت ووقفت على صخرة لتصبح بمستوى طوله: «وهل أجرؤ أنا على قدح فتيل

غضبك؟».

«ومن هو الغاضب؟» قال وأمسك بها من خصرها.

«أستطيع هكذا أن أنظر مباشرة الى عيونك».

«وهل أنت واثقة انك مستعدة لذلك؟» سأل فجأة بصوت رقيق.

«أنا عمياء تماماً فيما يتعلق بك. سأذكر دوماً انك من أنقذ حياتي لكن لو أسمح لك فاعرف انك ستجرحني».

«لربما قد أفعل» قال: «ستحتاجين للعناية الفائقة اذا كان مكتوباً عليك البقاء هنا. فأنت جسد عاجي رقيق بعيون كالبحر».

«اذن دعني أحظى بحريتي» هتفت والدموع تهدد بالتفجر: «أنت تعرف تماماً ما الذي تفعله تضعني بكف يدك فقط وتنتظر وصول المرأة الأخرى».

«أيتها الحمقاء الصغيرة» قال وأحاطها بذراعيه بقوة جعلت احساسها بالوقت يتبخر.

«أحبك» همست بداخلها بصوت هامس وأحاطت رقبته بذراعيها وكأنه طوق النجاة كأنها تغرق فيه ستحتاج لمئة حياة لتنساه وتنسى حبه.

عانقها بحرارة لاهبة وقال: «قوليها مجدداً».

«ماذا؟» همست برعب.

«انك تحبيني».

«آه» هتفت واندفعت الدموع بغزارة على وجهها من شعورها

بالإذلال لأنه يعرف حقيقة مشاعرها الآن والله وحده يعرف ما الذي سيحدث لكبريائها بعد الآن.

«لم أنت قاسي هكذا؟» هتفت من بين دموعها.

«لأنني أريدك!» قال بصوت مخنوق: «ولفترة طويلة الآن منذ اللحظة التي وجدتك بها تحت شجرتي في غابة المطر. أنا لا أحب ما الذي تفعلينه بي ترمين بشباك خطرة من حولي تمتصين قوتي».

«اذن دعني أرحل» قالت وهي تحاول الابتعاد عنه دون جدوى.

«لربما أنا لا أريد أن أتحرر منك» قال: «جمالك ورقتك، لحظات غضبك اللذيذة، مرحك وبداهتك. قد تكون الحياة قاحلة وصعبة جداً دون امرأة مثلك».

«آه أرجوك دعني أرحل» قالت بذعر لخوفها من عمق مشاعرها: «لا أستطيع فهمك مطلقاً. تقول انك ترغب بي ولكنك قد وضعت خططك بالزواج من أخرى».

«أجل. قد تكون عملية حبسك بعالمي غلطة هائلة أقوم بها. فأنت شابة جداً ورقيقة جداً وأنا أقسى بكثير مما تظنين وعلي الانتباه كثيراً لك حتى لا تتأذين».

«أرجوك توقف فقد قررت الرحيل غداً بالضبط واتخذت الاجراءات اللازمة لذلك».

«يا لتوقيتك» قال بجفاف.

تنهدت بعمق وحدقت بالبحر مستجمعة منه القوة التي كانت

تغادرها وقالت: «لا أستطيع البقاء هنا الى الأبد وكأنه لا يوجد مكاناً آخر لي لأذهب اليه حالما نغادر في الغد سأنطلق بنفس الطائرة الى موطني! أنا معلمة كما تعرف وقد حان لي الوقت للالتحاق بمدرستي».

«وما هو الوقت المناسب لذلك؟» قال بلهجة سخرية جافة.

«كلما كان أسرع كلما كان أفضل. يحزنني كثيراً ترك تمارا وأظنها ستفتقدني. لكنها أكثر سعادة الآن وأشعر باستقرارها وثقتها بنفسها الآن. أكره أن أقول ذلك لكن لا أظن انه من الافضل لها ارسالها الى مدرسة داخلية كما ترغب والدتها. تستطيع توظيف مربية لها. يوجد الوفير من المعلمات الشابات اللواتي سيرحبن بهذه الوظيفة».

«لكن ليس أنت؟» قال وعيونه تركزانها مكانها.

«كلا. أنا راحلة».

«فقط خائفة قليلاً يا زرقاء العينين؟».

«هذا ما أظنه. آسفة كالفن».

«على من؟» قال وهو يرفع رأسها: «على تمارا؟ أم على نفسك؟».

«ليس عليك. أنت ليس بالرجل العادي».

«هذا ما يقولونه لي دوماً، ولا أرغب دوماً بسماع ذلك».

شعرت بلفحة غضبه واحمر وجهها بالظلام: «لو كان هذا يساعد فسأحاول ايجاد مربية جيدة لتمارا قبل أن أغادر كليتا».

«لا بأس» قال رافضاً اقتراحها: «سيهتم موظفيني الشخصيين

بذلك. فلا تنقصني المساعدة بهذا الشأن».

«حسنا اذن. شكراً لك على كل شيء، على أكثر التجارب غرابة بحياتي كلها».

«ألديك المال؟» سألها بصوت جاف.

«لا تجرؤ على عرض أي مبلغ من المال علي» قالت على الفور: «لا أريد شيئاً منك... لا شيء».

«يكفي هذا» قال دون سابق انذار وأحاطها بذراعيه مبقياً يديها خلف ظهرها.

«حان لنا التفاهم، قلت لي قبل قليل انك تحبينني أريدك ان تكرري ذلك الآن».

«ليس أبداً».

«انتظري لحظة» قال مشدداً قبضته عليها.

«سأصرخ كالفن».

«هيا اصرخي ودعيني أرى من سيأتي لنجدتك».

«أرجوك».

«لكنني أريد أن أفعل. لا فكرة لديك عن مدى رغبتي بذلك».

«كالفن!» همست برعب.

«قوليها لي. هيا وبعدها سأفلتك».

«لا أستطيع».

«الآن».

«أحبك» همست رغماً عنها وأفلتها للتو.

«شكراً لك. ما كان لأي شيء أي طعم مطلقاً لو انك لم تنطقي بهذه الكلمات مجدداً».

فتحت عيونها وأخذت الدموع تنحدر على وجهها الرقيق وهي تنظر الى وجهه. لم يسبق له مطلقاً أن نظر اليها بهكذا عواطف واضحة.

«لم تعتقدي فعلاً انني سأسمح لك بالرحيل؟» سأل بهدوء: «انت لي ساندرينا. لي وحدي. صدقي ذلك».

«وأتقبل ذلك بكل سرور» صاحت: «لكن ألا ترى انني أتوسل حبك اضافة الى رغبتك الجامحة بي؟ سأبقى معك الى الأبد لكن عليك أن تسمح لي بدخول قلبك. لن أتحمل أبداً اقصائي عن قلبك بالذات. أنا بحاجة ماسة ومريعة لك».

«هذا يجعلنا اثنين. لا شك انك تدركين الآن انك كنت المقصودة حين قلت انني سأقابل عروسي على جزيرة الشاطىء الذهبي. تعرفين الآن انك ضرورية وأساسية لسلام وسكينة جسدي وعقلي. ألا تدركين ما ترين؟ أنا أحبك. انت حياتي. فتاة صغيرة هشة بعيون كالبحر. أستطيع تدبر أمر الكثير من الأشياء لكن لا أستطيع تدبر أمر مشاعري حولك. انها مشاعر عميقة جداً ومتأصلة وستبقى للأبد. الى ان يفرقنا الموت» انحنى مقبلاً خدها: «هل أنت قوية كفاية؟».

«وهل أنت قوي كفاية؟» تحدته.

«أنا أحبك ساندرينا» قال.

«وماذا عن ماروشكا، انها تريدك لنفسها و...».

«أعرف وتستعمل شقيقك لإثارة غيرتي لاعتقادها انني أكن لها مشاعر الحب، لكن يا حبي سأفهمها بالغد بالضبط حول من أحب فعلاً وانها لا تعني لي شيئاً، كان عليها معرفة ذلك منذ البداية. فلو كنت أريدها لتزوجتها ليس الآن بل منذ أن عرفتها».

«لكن ما الذي سيحدث لها الآن؟».

«لقد اشتريت لها شقة فاخرة في سدني العاصمة وأظنها ستنتقل للعيش بها وستجد لنفسها زوجاً وتستقر معه».

«ومع تمارا؟» هتفت ساندرينا بقلق وذراعيها تحيطان برقبته.

«لا أظن ذلك فماروشكا لن تكون أبداً أماً حقيقية للطفلة سنبقيها معنا وستذهب لزيارة والدتها كلما شعرت برغبتها بذلك. على كل حال لا أظن أن تمارا ستتأثر كثيراً لابتعاد والدتها عنها فهي في الواقع لم تكن قريبة منها في يوم من الأيام. وبما اننا هنا معاً لنرعاها ونعوضها عن العائلة التي خسرتها يوم وفاة والدها فلا أظن أن تمارا ستمانع أبداً».

«وماذا بشأن مايكل أخشى انه...».

«متعلق بها. لا أظن ذلك انه مجرد انجذاب حسي لجمالها وفور عودته الى كليتا وعمله الذي يعشقه سيعود الى طبيعته فكل ما يريده الآن هو العمل بجد للحصول على ملكيته الخاصة وفور ابتعاد ماروشكا عنه سينسى كل شيء عنها. صدقي ذلك فأنا أخبر منك بهذه الأمور».

«آه كالفن. أنت كل حياتي وسعادتي وضحكاتي».

«أنا مصمم أن أجعلك سعيدة ساندرينا» قال وهو يداعب شعرها الحريري: «لكن لا تحاولي أبداً تركي والابتعاد. ليساعدك الله لو فعلت».

«لكن كيف بإمكاني أن أفكر مجرد تفكير بذلك؟» قالت بقوة وثقة: «ألا تعرفني؟ انت مثالي لي. وسيم وكامل. أريد أن أربي أطفالك. سأحبهم قدر حبي الهائل لك. ألا ترى كم أنا واثقة؟ لست بشيء من دونك كالفن. أشعر انني بمنزلي في كليتا وحدها من كل بقاع الأرض رغم كل وحشيتها وجنون عواصفها».

ضحك: «لم تشاهدي العواصف الحقيقية بكليتا بعد».

«سأنجو، سأنجو» قالت وعانقته بحب عارم: «أعطني فرصتي كالفن. هذا كل ما أطلبه... امتياز أن أكون زوجتك».

اليد القوية التي أحاطت بوجهها ارتعشت قليلاً بشكل لا يصدق وأدارها الى أن أصبحا قريبين جداً بعد أن تشابكت أرواحهما وانسجمت نظراتهما ببحر السعادة القادم اليهما على جناح الحب، الثقة والتوحد.

«ساندرينا» همس بصوت مبحوح: «ساندرينا أنا لك الى الأبد».

«وأنا ملكك الى الأبد» همست بدورها قبل أن يغرقا مجدداً بعناق إرادة فكان وعد حب مقدر غمر قلبيهما برباط مقدس يستمر الى الأبد.